البكورية فى المجتمع التوراتى

دراسة فى ديانات الشرق الأدنى القديم

علاء عريبى



البكورية فى المجتمع التوراتى

دراسة فى ديانات الشرق الأدنى القديم

علاء عريبى



الهيئة المصرية العامة للكتاب

٢٠٠٥

تصميم الغــلاف
والإشراف الفنى : صبري عبد الواحد

اهــداء

إلى رؤى

حسـام

هالة فؤاد

علاء عريبى

يحرص اليهود دائما فى مناسبة وغير مناسبة التأكيد بأنهم أصحاب أول فكر دينى منظم عرفته البشرية، كما يؤكدون أصالة هذا الفكر وعبقريته منذ ظهوره فى سنوات ماقبل الميلاد، على أيدى أول مجموعة من العبريين، ووصل الأمر إلى أن أشاع البعض منهم، خاصة أصحاب الفكر الصهيونى، القول بأن بنى إسرائيل، نسبة إلى أولاد يعقوب (إسرائيل) النبى، هم الذين أدخلوا هذا الفكر المتحضر إلى الشعوب المجاورة لهم فى منطقة الشرق الأدنى القديم، وأنهم أصحاب الفضل فيما وصلت إليه الحضارات المصرية والعراقية والشامية القديمة، وزعم بعضهم أن بنى إسرائيل شركاء فى هذه الحضارات بما قدموه من فكر أصيل، كما ويشيعون أيضاً القول بأن الديانات التى ظهرت بعد اليهودية - المسيحية والإسلام - اعتمدت فى مجملها على الشريعة اليهودية، وأن أتباعها قاموا ببناء كتبها من صياغات جديدة للنصوص التوراتية.

وقد مال لهذه الادعاءات، للأسف، أغلب الباحثين والمفكرين فى الغرب، وقاموا ببناء دراساتهم مسبقاً عليه، وهو ما انعكس على معظم ما قدموه من كتابات فى منطقة الشرق الأدنى القديم، حتى أن الرعيل الأول من هؤلاء الباحثين، جاء للمنطقة للبحث عن ما ذكرته النصوص التوراتية، فقاموا بالتنقيب فى مصر والعراق وسوريا والأردن وفلسطين، بحثاً عن الأسماء والوقائع التى ذكرت فى التوراة، وبناء على هذا ظلت الدراسات الأثرية والتاريخية، لفترة كبيرة من الزمن، أسيرة للرؤية اليهودية والصهيونية.

وقد شجع أصحاب هذه الرؤية من الباحثين غياب الدراسات العربية الجادة، وانصراف العرب عن البحث والتنقيب فى حضاراتهم القديمة، وتركهم الأمر برمته للبعثات الأجنبية تنقب عن الآثار، وتسجل نصوص المكتشفات، وتقوم بترجمتها إلى لغتها، ثم تقوم بقراءة هذه النصوص حسب هواها، أو كما يتوافق والنصوص التوراتية، وكتابة تاريخنا، ومما يؤسف له أن الباحثين العرب يعتمدون على هذه القراءات فى مؤلفاتهم، ويتفاخر أغلبهم بتبنيه رؤية هذا الأثرى عن ذاك، دون أن ينتبهوا إلى جمع النصوص، نصوص حضارتهم التى أقامها أجدادهم، وترجمتها إلى اللغة العربية، لتكون المصدر الأول للكتابة عن هذه الفترات، وأضعف الإيمان أن يقوموا بترجمة هذه النصوص عن الألمانية أو الإنجليزية أو الفرنسية، حيث إن علماء هذه البلاد، قد قاموا بإعداد موسوعات، تضم جميع النصوص التى تم جمعها من الشواهد الأثرية، وقاموا بترجمتها إلى لغتهم منذ قرن مضى .

فى هذه الدراسة: البكورية فى المجتمع التوراتى، نحاول أن نقف على بعض من أصول الفكر التوراتى، وهل هو بالفعل من نتاج العقلية العبرية الفذة أم أنه نتاج عقليات أخرى؟، وما الجذور الفعلية لهذا الفكر؟.

وهذا من خلال تتبعنا لبعض الأفكار والمصطلحات التى وردت فى التوراة، ومما يشجعنا على تتبع أصول هذه الأفكار والمصطلحات، أن معظم الباحثين قد اتفقوا على أن النصوص التوراتية، خاصة الأسفار الموسوية، قد كتبت بعد مئات السنوات من وقوع أحداثها، وأوضحوا أن محرريها قد تأثروا كثيراً عند صياغة النص الشفاهى بالثقافة المحيطة، ثقافة حضارات الشرق الأدنى القديم، وقد سبق وقدم بعض الباحثين الغربيين، منهم يهود، مقارنات عديدة بين النصوص التوراتية والنصوص المصرية والأكادية القديمة، وأكدوا التشابه إلى حد التطابق بين النصوص.

وفى دراستنا هذه نحاول الوقوف على أصول ما اصطلح عليه توراتياً بالبكورية وحقوق البكورية، من حيث الدلالة اللغوية والنصية والاجتماعية والفكرية واللاهوتية والسياسية فى النصوص التوراتية، وفى الحضارات المحيطة لمستخدمى هذا الاصطلاح .

فقد شد انتباهنا هذا الاصطلاح عند اطلاعنا فى التوراة بسفر الخليقة (سفر التكوين)، وحاولنا، لغرابته الوقوف على دلالته، وقد تبين لنا بعد جهد مضنى مع النص التوراتى، أنه خاص بالابن البكر وأن النصوص تشير إلى أن العبريين كانوا يفضلون الابن البكر

ويميزونه عن سائر أخوته، كما هو شائع الآن فى المجتمعات العربية، ولغموض المصطلح ساعتها، استعنا بالموسوعات المتخصصة والعامة، الدينية والفلسفية، وللأسف الشديد أحالتنا لبعض النصوص التوراتية، وكل ما خرجنا به من الموسوعات والقواميس، لم يضف جديداً عن ما صرحت به النصوص، وهو تفضيل بنى إسرائيل للابن البكر، وتمييزه عن سائر أخوته .

حتى التعريفات التى عثرنا عليها لهذا المصطلح فى بعض الدراسات أو كتب التفاسير، حامت جميعها حول الدلالة النصية، وأشارت إلى تمييز هذا البكر فى الميراث، إضافة إلى تفضيل إله بنى إسرائيل لكل مفتتح رحم، وكل ما هو أول الأشياء، النبات والحيوان، وهو ما كرست إليه النصوص التوراتية ابتداء من سفر الخروج وحتى التثنية.

ومع التباس المفهوم وتشوش الدلالة وانحصارها فى ظاهر النص الدينى، عدنا إلى الدراسات التاريخية التى تناولت هذه الفترة من تاريخ المنطقة، بحثاً عن دراسة تناولت هذا المفهوم فى الحضارة المصرية القديمة أو الآشورية والبابلية والفينيقية، سواء فى اللاهوت أو الأسرة أو السياسة... ، لكن ما يؤسف له أن جميع الدراسات التى تناولت حضارات الشرق الأدنى القديم، سواء الأجنبى منها أو العربى، لم تتناول هذا الموضوع من بعيد أو قريب، هذا مع أن المصطلح ـ حسب فهمنا له ساعتها ـ يحتمل الكثير، وأنه لا يعد مدخلاً جديداً لقراءة الفكر التوراتى فحسب، بل وحضارة الشرق الأدنى القديم ككل، وبعد سنوات من البحث، صدق الظن

وتبين لنا أن هذا المفهوم، كان آلية رئيسية فى ذهنية هذه الحضارات القديمة، حيث قامت جميعها على حقوق البكورية، فقد كان الابن البكر هو النواة الأساسية فى اللاهوت ونظام الحكم والكهنوت والنبوة والمجتمع ككل، والغريب فى الأمر أن سائر الدراسات الغربية التى تناولت الحضارات المصرية والعراقية والسورية والفلسطينية القديمة، رغم كثرتها وتنوعها، لم تنتبه لهذا المفهوم، وجاءت فى أغلبها وصفية للأحداث والنظم السياسية والاجتماعية والدينية، دون الغوص تحت السطح وكشف الآلية الذهنية التى تربط الأنساق الاجتماعية والدينية والسياسية والفكرية لهذه الحضارات، ومما يؤسف له أيضا أن الباحثين العرب قد نهجوا نفس المنهج الوصفى، ليس هذا فحسب بل اعتمدوا فى دراساتهم على الدراسات الغربية، وكذلك على الترجمات الغربية لنصوص حضاراتنا، واتضح أيضاً أن محررى النصوص التوراتية، قد قاموا بجمع وتثبيت النص الشفاهى من خلال هذه الذهنية، وأنهم قاموا بصياغة التوراة على هذا النظام البكورى.

وهذه الدراسة تتكون من ستة فصول وخاتمة وحاشية، حاولنا فيها بقدر المتاح من النصوص الأثرية والدينية والدراسات، أن نشير إلى الجذور الحقيقية لما اصطلح عليه توراتيًا بالبكورية وحقوق البكورية، إضافة إلى دلالتها الفكرية والاجتماعية والدينية والسياسية، سواء فى الحضارات الشرقية القديمة أو فى النصوص التوراتية.

فى الفصل الأول: تناولنا دلالة المصطلح فى اللغة العبرية وفى النصوص التوراتية، ووضحنا ما قدمته الدلالة اللغوية والفرق بينها

وبين الدلالة النصية، وهل هى كافية لتحديد معنى للمصطلح من عدمه .

الفصل الثانى: عرضنا فيه لمفهوم البكورية فى الحضارات الشرقية القديمة، وحاولنا قدر الإمكان تتبع المفهوم فى الفكر الدينى والسياسى والاجتماعى بالحضارة السومرية والبابلية والفرعونية والكنعانية القديمة.

الفصل الثالث: أفردناه لمناقشة الجزء الأول من أدوات البكورية وهو الشق المادى من هذه الحقوق، وقد أسميناه التركة، وهو يشمل النصيب المميز الذى يحصل عليه الابن البكر من تركة والده، وحاولنا التمييز بين الميراث المادى فى التركة، والميراث النفسى الذى ينتقل للبكر عن والده، سواء فى النصوص التوراتية أو فى الحضارات التى كتبت فيها هذه النصوص .

الفصل الرابع : تناولنا فيه الجزء الثانى من أدوات البكورية، وهو الشق الروحى من الحقوق، وقد أطلقنا عليه : البركة واللعنة، وحاولنا بقدر الإمكان الوقوف على أصل هذه الصياغات وأنواعها وأثرها، وهى كما سيتضح مجرد صياغات سحرية يقوم الأب بتوريثها للابن .

الفصل الخامس : خصصناه لعرض أكبر كم من الصياغات السحرية (البركة واللعنة) فى ثقافة الحضارات الشرقية القديمة، والإشارة إلى مصدرها وأنواعها وأثرها ، والفرق بينها وبين الصياغات التوراتية .

الفصل السادس : حددنا فيه الثمرة الحقيقية للبكورية فى النصوص التوراتية والحضارات الشرقية، وأشرنا إلى أن ثمرة هذه الحقوق كانت فى توريث النبوة و الكهنوت للابن البكر .

وقد قمنا بتلخيص ما توصلنا إليه خلال الدراسة فى الخاتمة، وحاولنا توضيح العلاقة بين المفهوم التوراتى واستخداماته فى حضارات المعابد والزقورات القديمة.

وفى الحاشية : نشرنا المواد الخاصة بحقوق البكورية من كتاب: «المواريث» للفيلسوف اليهودى سعديا الفيومى، وهو من الفلاسفة والكُتّاب اليهود الذين أسهموا فى وضع أصول الشريعة اليهودية، التى يسير عليها يهود العالم للآن، وهو مصرى الأصل، توفى فى القرن الرابع من الهجرة (ت ٣٣١ هـ)، وقد وضع كتابه هذا فى بغداد باللغة العربية، وكتبه بحروف عبرية، وقد نشر هذا الكتاب لأول مرة باللغة الفرنسية سنة ١٨٩٧ ميلادية، وفى سنة ١٩١٢ نجح «حاى بن شمعون» وهو محام مصرى، فى الحصول على المخطوط وقام بترجمته إلى العربية ونشره بمطبعة كوهين بمصر، وقد اخترنا منه النصوص الخاصة بميراث الابن البكر لإتمام الفائدة، وللإجابة على الأسئلة التى طرحناها ولم تسعفنا النصوص فى الإجابة عليها، وسبقنا هذه النصوص بنشر الجزء الخاص بمواريث البكر من مقدمة حاى بن شمعون لكتاب المواريث .

وفى النهاية لا يسعنى سوى تقديم الشكر لكل من قدم لى يد المساعدة فى هذه الدراسة المتواضعة؛ خاصة الأستاذ الدكتور

محمد بحر عبد المجيد أستاذ اللغة العبرية بآداب عين شمس، ود. محمد خليفة حسن أستاذ العبرية بجامعة القاهرة ومدير مركز الدراسات الشرقية بالقاهرة، وغيرهما ممن قدموا لنا يد العون فى الوقوف على الدلالات اللغوية للعديد من المصطلحات العبرية التى وردت فى الدراسة، وإن كنت، بفضلهما وغيرهما، قد تعلمت الأبجدية العبرية، ونجحت فى الكشف بنفسى، فيما بعد، فى القواميس العبرية العربية، كما أتقدم بخالص الشكر للمفكر والأديب محمد خليفة المدير التنفيذى لمركز زايد، وجميع العاملين بالمركز، لاهتمامهم بالدراسة والعمل على نشرها بما يليق فى طبعتها الأولى، قبل أن يغلق المركز بفضل اتهام الصهاينة له بمعاداة السامية، حيث قامت الإدارة الأمريكية الحالية ، برئاسة الابن بوش، بالضغط على حكومة دولة الإمارات لإغلاق المركز .

كما أتقدم بخالص العرفان إلى بكريتى « رؤى» ، و إلى بكرى «حسام» ، وإلى زوجتى الكاتبة الصحفية «هالة فؤاد»، على الوقت الذى استقطعته منهم فى البحث والقراءة، وأتمنى أن يقبلوا هذه الدراسة عوضًا عن انصرافى وانشغالى عنهم، كما أتمنى من الله أن أكون قد أسهمت بجزء ولو يسير بهذه الدراسة، فى أية محاولة لإعادة قراءة حضارتنا الخالدة، وفى كشف زيف المزاعم الصهيونية والإسرائيلية التى يملئون بها الدنيا .

علاء عريبى

القاهرة: مايو ٢٠٠٤

الفصل الأول

البحث عن تعريف

لغويًا اشتق مصطلح «بكوراة - بكورية»، فى اللغة العبرية من مفردة «بكور - بكر»، وذلك للإشارة إلى عدة دلالات، البكورة، والبكرية، والبكورية، ومن معانيها: أفضلية، أولوية، امتياز، إيثار، أسبقية، وأقدمية [1]، وكلمة بيكور تجمع : باكورات وبكوريم، وتعنى أول إنتاج الأرض من الثمار والأشجار والمحاصيل، وكانت تُقدم إلى الرب فى عيد بواكير الثمار، ويسمى بالعبرية: حج هبكوريم، وكلمة «لحم هبكوريم» : تعنى باكورة الخبز، وكان يقدم أيضاً فى عيد البواكير للرب [2]، ومفردة «بكور» تعنى : الابن البكر أو أول ولد ذكر للوالدين ، و«بكور شوطيه» : بكر الأم من زوج سابق ولا يملك

---

(١) ديڤيد ساجيف: قاموس عبرى عربى - نيويورك ١٩٨٥ - مادة بكر ج ١، ص ١٧٧، وانظر: إبراهيم بن شوشان: قاموس عبرى عربى مختصر - كريات سافر أورشليم ١٩٧٩ - ص ٦٧، وانظر: ديڤيد ألون ، ومسح شنعار: قاموس عبرى عربى - ى . ت مفمس الجامعة العبرية أورشليم ط٢ سنة ١٩٧٨ ص ٢٩ .

(٢) شوشان : سابق ص ٦٧

حق البكورية، و«بكوره» : مؤنث بكور، وهى البنت الأولى للوالدين، وبكورت : حق البكورية [1] *

يتضح من الدلالة اللغوية أن مصطلح (بكوراة - بكورية)، قد نحت من كلمة بكور - بكر، وأنها تعنى حق البكورية، وهذا الحق يمنح - حسب الدلالة اللغوية - لأول ولد ذكر للوالدين، ولم يفهم من الدلالة القاموسية الموقف فى حال تعدد الزوجات، هل تمنح امتيازات أو حق البكورية لكل بكر من كل زوجة أم أنهم يكتفون بأول ولد، سواء جاء من الزوجة الأولى أم الثانية أم الثالثة؟، كما يتضح أن الابن البكر للزوجة من زوج سابق لا يملك حق البكورية، ولا يعد بكرًا على أخوته من والده ، ولا يمنح حق البكورية، ومن هنا ميزت المادة القاموسية بين الابن الأكبر؛ الأخ من الأم، والبكر أو البكرى، ويتضح أيضاً أن الفتاة، حتى لو كانت هى مفتتحة الرحم للزوجين، لا تمنح حق البكورية ولا تعد بكورية، ويتبين أن أبكار المحاصيل - خضروات أو فواكه أو غيرها - كانت تُقدم إلى الرب، وكذلك أبكار الحيوانات والخبز، وكل ما هو أول الأشياء، سواء كان فى الحيوان أو النبات أو الخبز، ويتم تقديم هذه البواكير فى عيد -

---

(١) ساجيف : سابق ص ١٦٦: ١٧٧.

(*) والبكورية : فى اللغة العربية، تعد مصدرًا صناعيًا، نحت من مفردة بكر، والبكر هو أول ولد الرجل، غلامًا كان أو جارية، ويقال : هذا بكر أبويه، أي أول ولد يولد لهما، وكذلك الجارية بغير هاء. وتجمع : أبكار ... وكبرة ولد أبويه : أكبرهم، وفي الحديث : لاتعلموا أبكار أولادكم كتب النصارى... وقد يكون البكر من الأولاد فى غير الناس، كقولهم بكر الحية... والبكر: الجارية التي لم تفتض وجمعها أبكار. انظر: ابن منظور : لسان العرب .. مادة بكر.

حسب المادة اللغوية - البواكير (عيد الحصاد) [1]، ومع أن البكر والأبكار تدخل جميعها فى أفعال التفضيل : بمعنى أنها لها الأولوية والأقدمية والأفضلية والأسبقية، ومع أن البكر أو البكورى كان المفضل فى الأسرة العبرية، فالمادة القاموسية لم تشر إلى نوعية هذا الحق، حق البكورية؟، هل هو حق مادى أم معنوى؟، كما أنها أيضا لم تتناول الفترة التى يتم منح البكر فيها حق أو امتياز بكوريته؟ هل يأخذه عند مولده أم فى فترة الصبا أم يمنح إياه عند زواجه؟، هل يعطى له فى حياة والده أم بعد وفاته؟، وهل يتم منحه هذا الحق فى حالة تعدد الزوجات أم يتم توزيع الامتيازات على بكر كل زوجه؟.

الدلالة النصية:

إذا عدنا إلى النصوص التوراتية للبحث عن تعريف لما أطلق عليه البكورية أوحق البكورية، يتبين أن هذا المصطلح قد ذكر سبع

---

(١) عيد الحصاد: يقع فى اليوم السادس من شهر «سيوان» وهو الشهر الثالث فى الشهور العبرية، ويأتى بعد حصاد القمح، وكان يسمى أيضاً عيد الباكورة، لأن الشريعة تقضى فيه بتقديم رغيفين من باكورة محصول القمح مع القرابين والذبائح المقررة ، كما كان يسمى عيد الأسابيع، وبالعبرية «شابوعوت» لأنه كان يجىء بعد عيد الفصح بسبعة أسابيع، وكان يسمى أيضاً عيد الخمسين لأنه يقع فى اليوم الخمسين بعد اليوم الثانى من الفصح .. انظر : المجتمع اليهودى - زكى شنودة ، مكتبة الخانجى القاهرة د. ت،ص ٢٧٤ . جاء فى سفر الخروج: تحفظ .. عيد الحصاد، أبكار غلاتك التى تُزرع فى الحقل - ٢٣ : ١٥ وجاء فيه : تصنع لنفسك عيد الأسابيع ، أبكار حصاد الحنطة – ٣٤ : ٢٢ ، وانظر أيضا اللاويين ٢٣ : ١٥ والعدد ٢٨ : ٢٦ .

مرات فى أربعة مواضع مختلفة، إضافة إلى ذكره مرة واحدة فى العهد الجديد فى رسالة العبرانيين :

١ - ذات مرة عاد عيسو - ابن إسحاق البكر - من الحقل مرهقاً، فوجد يعقوب - شقيقه - قد طبخ طعاماً، فقال عيسو ليعقوب : أطعمنى من هذا الطبيخ الأحمر لأننى جائع جداً، فقال يعقوب : بعنى أولاً امتيازات بكوريتك، فقال عيسو: أنا لابد مائت، فأى نفع لى من بكوريتى ؟، فأجابه يعقوب: احلف لى أولاً .. فحلف له وباع امتيازات بكوريته ليعقوب ، عندئذ أعطى يعقوب عيسو خبزًا وطبيخ عدس، فأكل وشرب ثم قام ومضى فى سبيله، وهكذا احتقر عيسو امتيازات البكورية - تك ٢٥ : ٣٠ ••

٢ - ولما شاخ إسحاق - ابن إبراهيم - وضعف بصره ، استدعى ابنه الأكبر عيسو وقال له: يا بنى ، ها أنا قد شخت ولست أعرف متى يحين يوم وفاتى، فالآن خذ عدتك : جعبتك وقوسك، وامض إلى البرية واقتنص لى صيدًا، وجهز لى طعاماً شهياً كما أحب وائتنى به لآكل، لتباركك نفسى قبل أن أموت، وسمعت رفقة - زوجة إسحاق - حديث إسحاق لابنه عيسو، فعندما انطلق عيسو إلى البرية ليصطاد صيدًا ويأتى به، قالت رفقة لابنها يعقوب : سمعت أباك يقول لعيسو أخيك: اقتنص لى صيدًا

•• تك : اختصارًا لـ (التكوين)؛ وهو أول سفر فى التوراة، ويسمى سفر الخليقة.. وتث: اختصارًا لـ (التثنية)، وهو سفر الشريعة، وخر: الخروج، و ١ أو ٢ ملوك: الملوك الأول أو الثانى.

وجهز لى أطعمة شهية لآكل وأباركك أمام الرب قبل موتى.. والآن يا بنى اطع قولى فى ما آمرك به، واذهب إلى قطيع الماشية واختر جديين لأجهز لأبيك أطعمة شهية كما يحب، تقدمها لأبيك ليأكل فيباركك قبل وفاته، فقال يعقوب لرفقة أمه: أخى عيسو رجل أشعر، وأنا رجل أملس، وقد يجسنى أبى فيتبين خداعى، وأستجلب على نفسى لعنة لا بركة، فقالت له أمه: لعنتك علىّ، فاطع قولى فقط، واذهب واحضر الجديين لى، فذهب واختارهما وأحضرهما لأمه، فأعدت رفقة الأطعمة المطيبة كما يحب أبوه، وتناولت ثياب بكرها عيسو الفاخرة الموجودة عندها فى البيت وألبست يعقوب ابنها الأصغر، وكذلك غطت يديه وملاسة عنقه بجلد الجديين، وأعطته ما أعدته من الأطعمة الشهية والخبز، فأقبل على أبيه وقال: يا أبى، فأجابه: نعم يا بنى، من أنت ؟، فقال يعقوب :أنا عيسو بكرك، وقد فعلت كما طلبت، والآن قم واجلس وكل من صيدى حتى تباركنى، فقال إسحاق : كيف استطعت أن تجد صيداً بمثل هذه السرعة يا ولدى؟، فأجابه: لأن الرب إلهك قد يسر لى ذلك، وقال إسحاق: اقترب منى لأجسك يا ابنى لأرى إن كنت حقا ابنى عيسو أم لا ؟، فدنا يعقوب من أبيه إسحاق، فجسه وقال: الصوت صوت يعقوب، أما اليدان فهما يدا عيسو، ولم يعرفه لأن يديه كانتا مشعرتين كيدى أخيه عيسو، فباركه، وسأل: هل أنت ابنى عيسو؟، فأجاب : أنا هو، ثم قال : قدم لى من صيدك حتى آكل وأباركك، فأحضر يعقوب إليه الطعام، فأكل ثم قدم له خمراً فشرب، فقال له إسحاق أبوه : تعال وقبلنى يا ولدى، فاقترب منه

وقبله، فتنسم رائحة ثيابه وباركه قائلاً: ها إن رائحة ابنى كرائحة حقل باركه الرب، فلينعم عليك الرب من ندى السماء ومن خيرات الأرض، فيكثر لك الحنطة والخمر، لتخدمك الشعوب، وتسجد لك القبائل، لتكن سيدًا على أخوتك، وبنو أمك لك ينحنون، وليكن لاعنوك ملعونين ومباركوك مباركين..

ولما فرغ إسحاق من مباركة يعقوب، وخرج يعقوب من عند أبيه، رجع عيسو من صيده، فجهز هو أيضا أطعمة وأحضرها إلى أبيه وقال : ليقم أبى ويأكل من صيد ابنه فتباركنى نفسك، فقال إسحاق: من أنت ؟، فأجابه: أنا ابنك بكرك عيسو، فارتعد إسحاق بعنف وقال: من هو إذاً الذى اصطاد صيداً أحضره إلىّ فأكلت من الكُل قبل أن تجىء وباركته، وحقًا يكون مباركاً ؟، فما أن سمع عيسو كلام أبيه حتى أطلق صرخة هائلة ومرة جدًا وقال : باركنى أنا أيضاً يا أبى، فأجاب: لقد مكر بى أخوك وسلب بركتك، فقال: ألم يدع اسمه يعقوب، لقد تعقبنى مرتين، أخذ بكوريتى، وها هو يسلبنى الآن بركتى، ثم قال: أما احتفظت لى ببركة؟، فأجاب إسحاق : لقد جعلته سيدًا لك، وصيرت جميع إخوته له خداماً، وبالحنطة والخمر أمددته، فماذا أفعل لك الآن يا ولدى ؟، فقال عيسو: ألك بركة واحدة فقط يا أبى ؟، باركنى أنا أيضاً يا أبى، وأجهش عيسو بالبكاء بصوت عال، فأجابه أبوه : ها مسكنك يكون فى أرض جدباء لا يهطل عليها ندى السماء، بسيفك تعيش ولأخيك تكون عبدًا، ولكن حين تجمح تحطم نيره عن عنقك.. وحقد عيسو على يعقوب من أجل ما ناله من بركة أبيه ـ تك ٢٧ : ١ .

٣ـ وحدث لما فرغوا من أكل القمح الذى جاءوا به من مصر، أن أباهم (يعقوب) قال لهم: ارجعوا اشتروا لنا قليلاً من الطعام (تك ٤٣ : ٢) وقاموا ونزلوا إلى مصر ووقفوا أمام ـ شقيقهم ـ (يوسف ٤٣ : ١٥) فجلسوا قِدامه البكر بحسب بكوريته والصغير بحسب صغره (٤٣: ٣٣) [1] .

٤ ـ قال موسى لقومه: إن كان رجل متزوجاً من امرأتين، يؤثر إحداهما وينفر من الأخرى، فولدت كلتاهما له أبناء، وكان الابن البكر من إنجاب المكروهة، فحين يوزع ميراثه على أبنائه، لا يحل له أن يقدم ابن الزوجة الأثيرة ليجعله بكره فى الميراث، على بكره ابن الزوجة المكروهة، ويعطيه نصيب اثنين من كل ما يملكه، لأنه هو أول مظهر قدرته، وله حق البكورية ـ تث ٢١ : ١٥ .

٥ ـ وكان رأوبين بكر إسرائيل، ولكنه فقد امتيازات بكوريته التى وهبت لابنى يوسف بن إسرائيل لأنه عاشر محظية أبيه، فلم يحسب بكراً، ومع أن يهوذا كان الأقوى بين إخوته، ومن ذريته تحدر الملوك الذين حكموا، فإن البكورية ظلت من نصيب يوسف ـ الأيام الأول ـ ٥ : ١ .

---

(١) طبعة كمبردج سنة ١٩٢١ ، وانظر إعادة الصياغة للفقرة فى طبعة سنة ١٩٨٨ مصر: فجلسوا فى محضره كل وفق عمره ، من البكر حتى الصغير .. وانظر : التوراة السامرية، ترجمة الكاهن السامرى أبو الحسن إسحاق الصورى ، نشر دار الأنصار بالقاهرة سنة ١٩٧٨ ص ١٠ : «وجلسوا بين يديه الكبير ككبره والصغير كصغره»

٦ - اتبعوا السلام مع الجميع والقداسة التى بدونها لن يرى أحد الرب، ملاحظين لئلا يخيب أحد من نعمة الله، لئلا يطلع أصل مرارة ويصنع انزعاجا فيتنجس به كثيرون، لئلا يكون أحد زانيًا أو مستبيحا كعيسو الذى لأجل أكلة واحدة باع بكوريته. العبرانيين ١٢: ١٤ (١).

يتضح من النصوص السابقة تفاوت المساحات الزمنية بين كل واقعة وأخرى، بين استخدام محررى التوراة للمصطلح فى الواقعة الأولى، واقعة عيسو ويعقوب، والواقعة التى حذر فيها موسى قومه من هضم حق البكر ابن الزوجة المكروهة، ما يقرب من خمسمائة سنة إن لم يكن أكثر ، وأكثر من مثلها بين واقعة موسى وما جاء في سفر أخبار الأيام الأول، والذى يرجح بأن هذا السفر قد تم تدوينه فى القرن الخامس قبل الميلاد .

على أية حال يتبين من النصوص أن للبكورية امتيازات تمنح لمفتتح الرحم من الذكور، حددت فى النص الموسوى «بنصيبَ اثنين من تركة والده »، يستطيع حسب النص اليعقوبى، أن يتنازل عنها أو بيعها، مثلما فعل عيسو ، عندما تنازل عنها مقابل وجبة عدس، هذه الامتيازات تمنح للبكر فى حياة والده، وتحديداً فى حالة عجزه، أو شعور المورث باقتراب أجله، فقد دعا إسحاق ابنه عيسو

(١) كمبردج : سابقة ، وانظر الصياغة فى الطبعة المتداولة : «انتبهوا الا يسقط احدكم من نعمة الله ، حتى لا يتأصل بينكم جذر مرارة ، فيسبب بلبلة ، وينجس كثيرين منكم ، وحذار أن يكون بينكم زان أو مستهتر مثل عيسو الذى باع حقوقه بوصفه الابن البكر ، لقاء أكلة واحدة ..عبرانيين ١٢ : ١٥ .. القاهرة ١٩٨٨ .

لمنحه البركة قبل وفاته، وقد فعل يعقوب (إسرائيل) نفس الشيء، فعندما شعر بدنو أجله استدعى أولاده وباركهم [1] ، وقد أكد كبير عبيد إبراهيم أن سيده فعل هذا : «وأنجبت سارة امرأة سيدى بعد أن شاخت ابنا لسيدى أورثه كل ماله [2]، وحسب تأكيد محررى التوراة : «وورث إبراهيم إسحاق كل ماله ، أما أبناؤه من سرارية فأعطاهم إبراهيم عطايا وصرفهم فى أثناء حياته نحو أرض المشرق بعيداً عن إسحاق ابنه» [3] ، وسبق وفعل هذا نوح مع أولاده[4].

ويفهم من النص الموسوى أن العرف الاجتماعى، قبل نزول تشريعات موسى، قد أعطى الأب حرية منح الامتيازات لابن من يهواها من زوجاته، وربما لمن يميل إليه من الأولاد سواء كان البكرى أو غيره، وإن كان هذا غير ثابت لنا من خلال هذه النصوص ، وتحذير موسى لقومه وتأكيده على أحقية الابن الأول للرجل فى امتيازات البكورية، يعد تقييداً للحرية التى منحها العرف السائد إلى المورث، خاصة وأن العرف الاجتماعى قد منح الأب أو المورث حرية فى المنح أو المنع، فله أن يمنح أو يمنع امتيازات البكورية، ليس فقط لابن من يهواها من زوجاته كما جاء فى النص الموسوى،

---

(١) تك ٤٨ : ١

(٢) تك ٢٤ : ٣٦

(٣) تك : ٢٥ : ٥٠

(٤) ٩ : ٢٥

بل فى عدة حالات أخرى، مثل غضبه عليه، أو عند قيام الأخير بالتعدى على هيبة أو حرمة والده ، فقد حجب يعقوب امتيازات البكورية عن رأوبين بكره ومنحها إلى يوسف ، حسب نص الأيام الأول، وذلك لأنه اعتدى على شرف والده وزنا مع سريته : « مضى رأوبين وضاجع بلهة سرية أبيه ، وعرف إسرائيل •• بالأمر [1] ومع هذا يتبين من هذه الواقعة تحديداً أن العرف الاجتماعى أخذ ببكورية ابن الزوجة الأولى، وأن حقوق البكورية كانت أيضًا نصيب اثنين من الميراث، وأن موسى أخذ بالعرف أو القانون الاجتماعى وأكد عليه، كما يفهم من واقعة التوءم عيسو ويعقوب، خاصة واقعة البركة، أنه من الممكن أن يمنح البكر البركة دون أن يكون ممتلكا لحق البكورية أو العكس، إسحاق كان على وشك أن يمنح عيسو بركته، مع أنه كان يعلم تمامًا أن بكره عيسو سبق وتنازل عن حقه فى البكورية ليعقوب شقيقه مقابل وجبة عدس، ويفهم أيضًا من هذه الواقعة أن أهمية البركة، تفوق بكثير أهمية حق البكورية، بمعنى أكثر تحديدا، إذا كانت البركة هى الشق المعنوى من حقوق البكورية، فأهميتها تفوق الشق المادى من هذه الحقوق، خاصة وأن عيسو كان حريصًا على أن يمنحه والده هذه البركة، فى الوقت الذى تنازل فيه بكل سهولة عن حقه المادى .

•• الاسم الذي أطلق على يعقوب بعد أن صارع الرب وهزمه، طلب منه الرب أن يتركه، رفض يعقوب قبل أن يباركه ، فقال له الرب: لن يدع اسمك يعقوب في ما بعد، بل إسرائيل (ومعناه يجاهد مع الله) ـ تك ٣٥ : ٩

(١) تك ٣٥ : ٢٢

نخلص مما سبق أن النصوص التوراتية اتفقت مع الدلالة القاموسية، فى وجود ما يسمى بحقوق أو امتيازات الابن البكر، وأن هذا الابن هو مفتتح الرحم للزوجين، وأن سبب منحه هذه الحقوق: أنه أول قدرة الرجل وأول فرحته، والنصوص حددت هذه الحقوق فى نصيب اثنين، واتضح من النصوص، وليس فى الدلالة القاموسية، أن الابن البكر يمنح أيضاً ما يسمى بالبركة، وأن هذه البركة يتم منحها للبكورى قبل وفاة المُبارِك (الأب)، وربما مع توزيع التركة، كما يتبين من النصوص، خاصة واقعة سرقة البركة، أن الأب يمنح بركة ولعنة، وأن اللعنة عكس البركة، أو أنها تجلب الشر، وهذا يتضح من تخوف يعقوب منها: «وأستجلب على نفسى لعنة لا بركة».

لكن ما يهمنا فى هذا الصدد: هل البركة واللعنة ضمن حقوق البكورية؟، هل امتيازات البكورية.. ما حدده موسى فقط: نصيب اثنين من الميراث؟، وهل هذا النصيب من الميراث هو نفسه الذى كان متبعاً قبل موسى ؟، ألم تختلف امتيازات البكورى ما بين عصرى يعقوب وموسى ؟، هل هذه الامتيازات بنت العرف الاجتماعى، أم كانت تشريعاً تلقاه إسحاق ومن قبله إبراهيم، وأكد عليه موسى فيما بعد؟، وإذا كانت من حق البكرى.. لماذا ورث إبراهيم تركته لإسحاق وحجبها عن إسماعيل البكر؟، ولماذا منحها يعقوب إلى يهوذا بن يوسف الأصغر - حسب النص التوراتى - ولم يأخذها أحد من أبكاره ؟، هل لأن هذه الامتيازات كانت قبلهم تمُنح للابن الأصغر وليس للأكبر؟، هل لأن شريعة أو عرف البلدة التى

نشأ فيها إبراهيم كانت تمنحها للابن الأصغر؟، هل موسى جعلها للابن الأكبر كما هو متعارف عليه فى شرائع الدول المحيطة؛ مصر والعراق وفلسطين وسورية؟، هل حق البكورية من شرائع المجتمع الكنعانى؟، وهل يجوز منح حقوق البكورية لكل مفتتح رحم، سواء كان من سرية أو حرة؟، هل البكورى هو أول ذكر من الزوجة العبرية أو أول ذكر من أية زوجة؟، وماذا عن التوءم إذا نزلا معًا ولم يسبق أحدهما الآخر؟، هل تعطى الحقوق للاثنين أم يختار الأب أحدهما للبكورية؟، وما الفرق بين الامتيازات المعنوية (البركة) وبين الامتيازات المادية (التركة) فى حقوق البكورية؟، وماذا لو مات الأب قبل أن تلد امرأته البكرى ؟، هل يمنح المولود حقوق البكورية؟، وإذا كانت البركة هى الشق المعنوى من هذه الحقوق .. من يمنح المولود هذه البركة؟.

الفصل الثانى

البكورية الشرقية

من الأهمية بمكان ونحن نتناول البكورية فى النصوص التوراتية، أن نتعرض إلى ثقافة الحضارات التى ولدت وكتبت فيها هذه النصوص (التوراة)، لكى نعرف: هل عرفت هذه الحضارات حق البكورية؟، هل ميزت ديانات وطقوس مصر وسورية والعراق وفلسطين الابن البكر عن سائر أخوته؟، وما نوعية هذا التمييز؟، هل تم تمييزه ماديًا فى الميراث ومعنوياً داخل الأسرة ؟، هل اقتصر هذا التمييز بين أفراد الأسرة فقط أم أنه امتد إلى خارج حيزها؟.

الثابت لنا من خلال النصوص التوراتية أن مصر، على وجه التحديد، قد عرفت هذا النظام، وكان معمولاً به فى العديد من المؤسسات، ويتبين هذا من الضربة العاشرة التى ضربها إله موسى للمصريين قبل الخروج، إذ قال موسى : « هذا ما يعلنه الرب : سأجتاز حوالى نصف الليل فى وسط مصر، فيموت كل بكر فيها، من بكر فرعون المتربع على العرش إلى بكر الأمة التى وراء الرحى، وكذلك بكر كل بهيمة، فيعلو صراخ عظيم فى كل أرض مصر، لم

يشهد مثله من قبل ولا يكون مثله أيضًا، أما بين الاسرائيليين فلن ينبح كلب على أى إنسان أوحيوان، وعندئذ تعلمون أن الرب يميز بين المصريين وإسرائيل ـ خروج «١١ : ٤» .

وفى موضع آخر أكد محررو التوراة : وفى منتصف الليل أهلك الرب كل بكر فى بلاد مصر ، من فرعون المتربع على العرش إلى بكر الحبيس فى السجن، وأبكار البهائم جميعًا أيضًا، فاستيقظ فرعون وحاشيته وجميع المصريين وإذا بعويل عظيم فى أرض مصر، لأنه لم يوجد بيت ليس فيه ميت، فاستدعى موسى وهارون ليلاً قائلاً: قوموا واخرجوا من بين الشعب أنتما وبنو إسرائيل، وانطلقوا واعبدوا الرب كما طلبتم ، وخذوا معكم غنمكم وبقركم كما سألتم وامضوا وباركونى أيضًا، وألح المصريون على الشعب ليسرعوا فى الارتحال عن البلاد قائلين: لئلا نموت جميعًا ـ خروج «١٢ : ٢٩».

والنص على حالته هذه يشير إلى أن المصريين قد عرفوا نظام البكورية، فى الأسرة وفى نظام الحكم، كما يتبين أيضا أنهم كانوا يميزون كل مفتتح رحم، وكل ما هو أول الأشياء، أبكار المحاصيل والحيوانات، حيث إن النص أشار إلى ضرب الرب لجميع هذه الأبكار بقوله: أهلك الرب كل بكر فى بلاد مصر، ثم خصص بعد ذلك بالقول: من بكر فرعون المتربع على العرش إلى بكر الحبيس فى السجن، وأبكار البهائم جميعًا أيضًا ..

وهو ما يعنى أن تمييز الابن البكر كان مكرسًا له فى الحضارة المصرية خلال تواجد بنى إسرائيل فى مصر، وإن ضرب بكر

الإنسان وأبكار الحيوانات وكل بكر فى البلاد، يعنى تدمير الرب لما هو عزيز على المصريين، وإن لم يكن هكذا ما فكر رب موسى فى إهلاكه، خاصة وأن هذه الضربة المؤلمة هى التى دفعت الفرعون - حسب ما جاء فى النصوص التوراتية - إلى الموافقة على خروج موسى وقومه من البلاد، كما تشير النصوص أيضاً إلى أن رب موسى قام بتدشين نظام البكورية هذا بين بنى إسرائيل عقب خروجهم من مصر مباشرة، حيث أعلن لموسى أسس وملامح هذا النظام، إذ أمرهم بتخصيص كل بكر من الإنسان إليه، وكذلك أبكار الحيوان والمحاصيل والخبز كتقدمة له، وهى ذات العناصر التى كانت متبعة بين المصريين، وهو ما يعنى أن محررى التوراة، جعلوا رب موسى يقوض البكورية فى مصر ويدشنها بين العبريين، وهو ما نتعرض إليه بشكل أكثر تفصيلاً فيما بعد. والسؤال الآن : هل عرف المصريون هذا النظام خلال فترة إبراهيم وما قبله أم فى فترة سابقة لظهور موسى ؟، هل كان هذا النظام فى مصر قبل معرفة العبريين له أم بعده ؟، وهل كان نصيب اثنين من الميراث كما حدد موسى، أم كان أقل أو أكثر؟، وهل كان حق البكورية محصوراً فى التركة فقط أم كانت له حقوقا أدبية؟، وهل وصلتنا شواهد أثرية تشير لهذا النظام أم أنه لم يخرج عن النص التوراتى؟، وهل عرفت البلاد المجاورة هذا النظام أم كان مأخوذاً به فى مصر فقط؟،

فلسطين:

الذى وصلنا عن الحضارة الكنعانية قليل جداً، و لا يمكن أى باحث من القطع بشكل البكورية النهائى، وقد اعتمد الباحثون

قديمًا فى دراستهم لتاريخ فلسطين على التوراة وبعض الشواهد الأثرية المصرية والآشورية ، خاصة عند دراستهم للمرحلة المتقدمة من تاريخ فلسطين، ثم اعتمدوا على كتابات الإغريق واللاتين بالنسبة للمرحلة المتأخرة فى العصرين اليونانى والرومانى، وفى الفترة الأخيرة أضيفت لهذه المصادر ما كشف عنه " كلود شيفر claude schacffer من آثار رأس شمرا (أوجاريت)، حيث عثر على بعض النصوص التى ترجع إلى القرنين الخامس والرابع عشر قبل الميلاد [1] ، هذه الشواهد تشير إلى العديد من الوقائع والمفاهيم التى يتضح منها معرفة الكنعانيين والشاميين بشكل عام لنظام حق البكورية، فى النظام اللاهوتى ونظام الحكم وداخل الأسرة نفسها، صحيح أنها غير كافية وغير قاطعة، إلا أن هذه الشواهد بجانب بعض ما وصلنا فى النصوص التوراتية، قد يساعد على تمييز الابن البكر، ففى الفكر اللاهوتى تشير الأساطير الكنعانية إلى أن الإله «إيل - el » أو كما يسميه فيلون ودمسقيوس «إيل كرونوس» ، كان على رأس مجمع الآلهة، ووظيفته تنحصر فى الإشراف على الأنهار والتنبؤ بالمطر، إيل هذا اتخذ زوجة، دعيت عشيرات البحر أو ليلات ، وأنجب منها الإله «بعل » [2] ، وقد كان الإله بعل هو سيد الأرض والحياة، لهذا كان الأقرب لقلوب العباد، خاصة وأنه كان من

---

(١) د.محمد أبو المحاسن عصفور : المدن الفينيقية ـ دار النهضة العربية، بيروت ١٩٨١ ص ١٣٩ .

(٢) ج. كونتنو : الحضارة الفينيقية، ت : محمد عبد الهادى شعيرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ط ٢، سنة ١٩٩٧، ص١١٧ .

مهامه الدورة الزراعية التى يعتمد عليها البشر [1]، ورغم أن مجمع الآلهة الكنعانى كان يترأسه «إيل»، فإن ابنه بعل إله الخصب (وكان يعرف أيضًا باسم هدد وحدد) كان يلعب الدور الأساسى فى المجمع [2]، لأسباب عديدة لأنه الابن البكر ولأنه الأقوى، واسمه نفسه يعنى السيد والملك، وهذا النظام اللاهوتى الملكى كان يعطى للابن الأقوى البكر ، سلطة حكم البشر على الأرض وتفويضه فى كل ما يخص شئونهم، وعلى غرار هذا النظام، كرس الكهنة للابن البكر فى نظام الحكم ، و كما كان «إيل» وزوجاته وأولاده يتناوبون الإلهية بين الكنعانيين، تناوبت الأسر أيضًا حكم المدن الكنعانية، وإن كنا لا نعرف إن كان البكر هو ولى العهد أو لا، حيث إن النصوص التي وصلتنا لا تسعفنا بهذا بشكل مؤكد، لكنه فى النهاية كان أحد أبناء الحاكم، وما يرجح أنه كان الابن البكر، ما أشارت إليه رسائل تل العمارنة التى تضمنت بعض المراسلات بين بعض ملوك الدول الفلسطينية إلى الحاكم المصرى، وأيضًا ما جاء فى ملحمة «كرت» وكان ملكًا فقد جميع أفراد أسرته، ظهر له الإله «إيل» فى الحلم، وأمره بتسيير حملة إلى أرض «أدم»، ويقهر ملكها، ويتزوج ابنته لتنجب له ذرية جديدة، وبالفعل يفتح كرت مدينة آدم، وعندما يأتى إليه رُسُل الملك المغلوب يعرضون الهدايا الثمينة، يرفض كل شىء، ويطلب الزواج من الأميرة :

---

(1) جان مازيل : تاريخ الحضارة الفينيقية الكنعانية، ت: ريا الخشن، دار الحوار بسورية ١٩٩٨ ص ٣٤.

(2) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية : د. عبد الوهاب المسيرى ، مادة :بعل ، ودائرة المعارف الكتابية : دار الثقافة بالقاهرة ، مادة : بعل .

.. هــب

لى «حرىً» العذراء

الرقيقة، بكر أولادك

التى مثل رقة عنت

التى وهبها «إيل» فى حلمى

أبو البشر فى رؤياى

حتى يولد ولد لكرت (١)

وما يوضح أيضًا معرفة الكنعانيين بقانون أو عرف تمييز الابن البكر، سواء فى نظام الحكم أو داخل الأسرة، ما أشارت له النصوص التوراتية إلى قيامهم بتقديم الابن البكر كأضحيه لرب، ، فميشع «ملك مؤاب» عندما حاصرته قوات يهوشافاط، ملك يهوذا، ويهورام ملك إسرائيل، وملك أدوم، بسبب تمرده بعد وفاة أخاب والد يهوشافاط ، ورفضه دفع الجزية لملك إسرائيل «مائة ألف خروف، ومائة ألف كبش مع أصوافها ـ ٢ ملوك ٣ : ٤» ، هاجموه بجيوشهم، فلما رأى ملك مؤاب أن المعركة اشتدت عليه، اختار سبعمائة رجل من المحاربين بالسيوف ليقوم بمحاولة شق طريقه ويهاجم ملك أدوم فلم يفلح، فأخذ ابنه البكر الذى كان سيخلفه على العرش، وأحرقه على السور قربانًا لإله مؤاب، مما أثار الغيظ

---

(١) سبتينو موسكاتى: الحضارات السامية القديمة، ت : د. السيد يعقوب، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٧ صـ ١٠٥ .

الشديد على إسرائيل، فارتد الإسرائيليون إلى بلادهم ـ ٢ ملوك ٣: ٢٦ .

وهذا يعنى أن ما فعله ميشع هذا بحرق ابنه البكر كقربان، كان متبعاً بين الكنعانيين قديما، وأن قربانه كان امتداداً لعادة يعرفها شعبه جيداً، فقد روى فيلون : أنه كان من عادتهم فى حالات الأخطار العامة، أن يضحوا بأعز أبنائهم لإبعاد الكوارث عن أنفسهم، أما فى الأحوال العادية، فإنه كان فى الإمكان إحلال الحيوان محل الضحية البشرية، وبرروا تلك العادة بمثال كريم رواه لهم علماء الأساطير، وهو أن كرونوس عندما نزل الطاعون ضحى بابنه الوحيد وأحرقه تشريفاً لأبيه [١]، وقد أكد موسكاتى هذه العادة فى حالة الخطر، وأنكر فيما تردد عن أن الكنعانيين كانوا يقدمون على تقديم هذه القرابين من الأطفال عند تشييد المبانى [٢].

ومع أن هذه العادة كانت خاصة بالشعوب التى سكنت فلسطين قديمًا، تشير النصوص التوراتية إلى أن أسباط بنى إسرائيل تأثروا بهذه العادة وأخذوا بها، وهو ما يتضح فيما قام به «أحاز بن يوثام» ملك يهوذا، عندما أجاز ابنه فى النار وفقًا لأرجاس الأمم الذى طردهم الأب من أمام بنى إسرائيل ـ ٢ ملوك ١٦:٣، وأيضًا «منسى ابن حزقا» ملك أورشليم (٢ ملوك ٢١ : ٦)، وكذلك الشعب نفسه (٢

---

(١) ج. كونتنو : سابق : ص ١٦٤ .

(٢) موسكاتى : سابق : ص ١٠٢ .

ملوك ١٧، ١٧: ٢١)، وقبل كل هؤلاء محاولة إبراهيم التضحية بابنه البكر المحبوب لديه : «خذ ابنك وحيدك، إسحاق الذى تحبه، وانطلق إلى أرض المريا وقدمه محرقة على أحد الجبال الذى أهديك إليه ... ولما بلغا الموضع الذى أشار إليه الله، شيد إبراهيم مذبحًا هناك، ونضد الحطب، ثم أوثق إسحاق ابنه ووضعه على المذبح فوق الحطب، ومد إبراهيم يده وتناول السكين ليذبح ابنه (تك ٢٢ : ١ ـ ١٠) [١]، ويتضح من النص السابق أن عملية التضحية بالابن البكر التى كانت متبعة، كان يتم وضع الابن على المذبح، مذبح الرب، ثم ذبحه بالسكين وإحراق جثته بعد ذلك، ويتضح أيضًا أن إبراهيم كان يقوم بتقديم ابنه طبقًا لعادة أهل البلد التى يعيش على هامشها، وأن ربه أمره بتنفيذ هذه العادة، هذا إذا علمنا أن الحضارة التى نشأ فيها إبراهيم، الحضارة البابلية، لم تكن تأخذ بالقرابين البشرية.

أغلب الظن أن الحضارة الكنعانية عرفت ما يُسمى بنظام الأبن البكر، قبل مئات السنوات من دخول إبراهيم إليها، صحيح أن النصوص لم تحدد ملامح هذا النظام بشكل كاف، إلا أنها تشير إلى أخذهم به فى نظام الحكم والنظام الكهنوتى وفى الميراث، فليس من المعقول أن يتم التضحية بالابن البكر ما لم يكن يقابله بعض الامتيازات لهذا الابن.

---

(١) للمزيد عن التضحية البشرية انظر : عصام الدين حفنى ناصف : اليهودية فى العقيدة والتاريخ، دار العلم الجديد ١٩٧٧ القاهرة ص ١١٠، و محمد بيومى مهران : بنو إسرائيل الجزء الرابع الحضارة ، دار المعرفة الجامعية ١٩٩٩ الأسكندرية، ص ٤٥٨

العراق :

أعطت الحضارة العراقية القديمة - على مر عصورها - اهتمامًا كبيراً لمفتتح الرحم من الذكور، فخصته بالكثير من الامتيازات، سواء من الناحية الاجتماعية أو الدينية أو حتى السياسية، وأغلب التشريعات التى وصلتنا، تتضمن العديد من المواد القانونية التى تضمن للبكورى امتيازاته فى الأسرة والمجتمع فى آن واحد، صحيح لم يكن ولى العهد بالضرورة هو أكبر أبناء الملك، إلا أن النصوص تشير إلى أنه كان الحاكم القادم، وتؤكد أن تعاقب الأبناء للآباء كان قائماً منذ عصر الأسرات السومرية، وقد فسر هذا التعاقب بأنه من مظاهر رضا الآلهة عن ملوك الأسرة التى يتعاقب أبناؤها على العرش، حيث كانت الحكومات العراقية منذ نظام دويلات المدن - قبل سرجون الأكدى موحد بلاد الرافدين - قد اختارت النظام الملكى الثيوقراطى، فجاء فى الآداب الدينية أن شارات الملك كانت فى السماء عند الإله «آنو» وأن الآلهة فى السماء قد أنابت عنها فى حكم البشر الملوك والحكام، وأن نظام الملوكية فقط هو الذى هبط من السماء، ولما نزلت وظيفة الملوكية وشاراتها من السماء إلى الأرض قام الإله «انليل» والإلهة «عشتار» بالبحث عن راع يرعى مصالح الناس، ومن ثم يتم انتخاب أحدهم، وكان الملوك يباشرون وهم على قيد الحياة انتخاب أحد أولادهم، وتقر الآلهة هذا الانتخاب (1)، مما يشير ضمنًا إلى أن الآلهة، طبقاً لمعتقدات

---

(1) د. عبد الحميد زايد: الشرق الخالد ، دار النهضة العربية ١٩٦٦، ص ١٦٥ .

السومريين والآشوريين، هى التى كانت تحكم البشر، وأنها بمقتضى هذا الحق، تفوض أو تختار من بينهم من يمارس هذه السلطة على الأرض وهم الحكام والملوك [1]، وهذا الحاكم بأمر الله، لقب فى بداية أمره بلقب «إنسى» بمعنى النائب أو الوكيل، إشارة إلى وكالته عن معبود مدينته فى حكم بلده وأهلها، وإشارة إلى القداسة بالوكالة التى يرتكز عليها فى ممارسة سلطاته الدينية والمدنية، وبعد اتساع السلطة ترك لقب إنسى للولاة الفرعيين، وتلقب كل حاكم بلقب.

«لوجال» بمعنى الرجل الجليل [2]، وقد بقيت فكرة انتخاب الملك بواسطة الآلهة حتى العهد الفارسى، فهذا كورش يبرر حكمه لمدينة بابل ، بانتخاب الإله «مردوخ له»، ولأن «سرجون» الأكدى لم يكن من دم ملكى، وكان أصله من عائلة رقيقة الحال، فزعم أن الإلهة «عشتار» قد نصبته ملكاً [3]، ولم يغلب الحاكم بأمر الله أو الإنسى أو اللوجال، فى إيجاد حيلة لتنصيب بكره خلفًا له، فتشير النصوص إلى قيامه باستخدام نفس المبدأ فى ترشيح ابنه، فبعد أن يختاره يؤكد أن الآلهة وافقت وأقرت هذا الاختيار، وهذا النظام

---

(١) د. فاضل عبد الواحد: السومريون والأكديون - العراق فى التاريخ - بغداد ١٩٨٣ . ص ٧٠.

(٢) د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول مصر والعراق، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٩٧، صـ ٤٥٤

(٣) د. عبد الحميد زايد - سابق ص ١٦٦.

الثيوقراطى هو نفسه الذى اتبعه بنو إسرائيل فيما بعد، ومع أنه لم يكن من الضرورى أن يتولى الابن الأكبر ولاية العهد، إلا أن أغلب قوائم الحكم تشير إلى أن هذا الحاكم غالباً ما كان البكورى .

وربما يفسر الاهتمام بالبكورى هذا إلى أن الإله «مردوك» صاحب السيادة على العراقيين، كان الابن البكر للإله «أنكى»، حيث تشير النصوص البابلية إلى أن «آنو» إله السماء ،

و«أنليل» إله الأرض قررا «لمردوك» الابن البكر للإله «أنكى» أو (أيا إله الماء)، السيادة على الناس جميعًا، وجعلاه عظيمًا بين الأجيجى igig (آلهة السماء)، ثم جعلا لمدينة بابل السيادة فى العالم ، وأقاما لمردوك فيها ملكاً دائمًا (١) :

عندما حدد آنو المتعالى ، ملك الأنوناكى

وانليل سيد السماء والأرض ومقرر مصير البلاد

لمردوك ، الابن الأكبر لايا ، الحكم على جميع الناس

وجعلاه سيداً على الأجيجى وأطلقا اسمه على بابل

وجعلاه أقوى ما فى جهات العالم الأربع

وأقيمت له فى وسطها ملكية خالدة بأسس

صامدة صمود السماء والأرض (٢)

---

(١) د. محمد بيومى مهران : تاريخ العراق القديم، دار المعرفة الجامعية بالأسكندرية ١٩٩٠ ، ص ٢٣٦ .

(٢) د. توفيق سليمان : دراسات فى حضارات غرب آسيا القديمة، دار دمشق ببيروت ١٩٨٥ ، ص ١٩٩ .

والإله «انكى» حسب الأساطير السومرية، هو الذى خلق الإنسان وأحبه وأعطاه نواميس الحكمة، كما أنه هو الذى بعث بكائنه السمكى (أوانيس) ليعلمه فنون الحضارة والكتابة، وهو الذى أنقذ الإنسان من الطوفان (١)، هذه الإلهة ألهمت الكثير من الحكام - أور - نمور: مؤسس أسرة أور الثالثة ٢١١٣ - ٢٠٩٦ ق.م، و لبت عشتار : الملك الخامس من أسرة ايس فى بداية الحكم البابلى ١٩٣٤ - ١٩٢٤ ق.م، وأشنونا قبل حمورابى بقرنين، وحمورابى (١٧٢٨ - ١٦٨٥ ق.م) - سن القوانين التى تنظم المجتمع، أهمها وأتمها، قانون حمورابى الذى اكتسب شهرته باعتباره أكبر سجل قديم عثر عليه حتى الآن، احتفظ بقوانين عهده وأحكام العرف فى العهود التى سبقته، خاصة العرف السومرى، وقد قلده الحيثيون وأتبعوه جزئيا، وكذلك فعل الأشوريون والعبريون (٢) وقد بلغت المواد التى وصلتنا منه ٢٨٢ مادة، تناولت أمور القضاء والأمن، وحقوق المحاربين ومسئولياتهم، وعقود الزراعة، وشروط القروض، والأحوال الشخصية ، بما تتضمنه من تقاليد الزواج والطلاق والمواريث، والقوانين الخاصة بالطب والعمليات الجراحية ... (٣) ، وقد

---

(١) خزعل الماجدى : الدين السومرى، دار الشروق ، عمان، الأردن ١٩٩٨، ص٧١ .

(٢) جورج سارتون: تاريخ العلم، دار المعارف المصرية ١٩٩١، جـ ١ ص ١٩٥ .

(٣) انظر عن القانون فى : طه باقر - سابق ١/٢٩١، وشرائع العراق القديمة - مجلة سومر بغداد ١٩٤٧- رضا جواد الهاشمى : التجارة - القانون والأحوال الشخصية ٢/٨١ بغداد ١٩٨٥ - أحمد فخرى : دراسات فى تاريخ الشرق القديم ص ٣٧ - نجيب ميخائيل مصر والشرق الأدنى القديم ٦ / ٥٩ - عبد العزيز صالح : سابق صـ ٥٢٩، محمد بيومى مهران :سابق ص ٢٥٠ - موسكاتى : سابق ص ٧٢ .

تضـمن هـذا القـانون ثلاث مـواد، منحت الابن البكر العـديد من الامتيازات، وهى المواد رقم : ١٧٠،١٦٥،٢٨ .

مادة (١٧٠) إذا أنجبت المرأة الأولى أطفالاً، وأنجبت أيضًا أمتُه منه أطفالاً، وقال الوالد فى حياته للأطفال الذين أنجبتهم له الأمة: أطفالى، واعتبرهم من بين أطفال المرأة الأولى، فعلى أطفال المرأة الأولى وأطفال الأمة، فى حالة وفاة والدهم، أن يقتسموا تركة الوالد فيما بينهم، ويختار الابن البكر، من المرأة الأولى، حصته أولا (١) .

المادة (١٦٥) إذا أهدى رجل إلى بكر أولاده ، الذى أحبه، حقلاً وحديقة وبيتًا، وكتب له وثيقة بذلك، وإذا مات والده واقتسم الأبناء فيما بينهم بالتساوى أملاك البيت، فعليه أن يأخذ ما أعطاه والده، بالإضافة إلى حصته من أملاك البيت المتبقية (٢) .

المادة (٢٨) تنص على منح الابن البكر حق رعاية إقطاعية والده الجندى، فى حالة وقوعه فى الأسر : إذا كان الجندى الخاص أو المبعوث الذى أسر وهو فى الخدمة العامة للملك، له ابن يستطيع أن يرعى التزاماته الإقطاعية، فإن الحقل والبستان يعطيان له، ليرعى الالتزامات الإقطاعية لأبيه (٣) .

---

(١) عبد الحكيم الذنون : تاريخ القانون فى العراق، دار علاء الدين بدمشق ١٩٩٣ ، ص ١٢١ .

(٢) د. توفيق سليمان : سابق، ص ٢١٣ .

(٣) محمد بيومى مهران : سابق، ص ٢٥٤ .

وكان إقطاع المحارب، فى هذا العهد يُسمى «كو» وقد يتألف من حقل أو بستان أو دار، أو يضم الاثنين أو الثلاثة جميعها، ويدفع عنه صاحبه ضريبة سنوية، ويورث حق الانتفاع به لولده الأكبر، على ألا يحق له أن يبيعه أو يرهنه أو يورثه لزوجته أو لابنته[1]، وقد أخذ الآشوريون العديد من هذه المواد، خاصة المواد الخاصة بتمييز الابن البكر، إذ تنص المادة الأولى فى اللوحة الثانية من القانون الآشورى، على تمييز البكر :

مادة رقم (١) : إذا اقتسم أخوة بيت أبيهم ، يجوز لأكبرهم سنًا، أن يختار أولا حصتين اثنتين من البيوت والحدائق والآبار على الأرض غير المستغلة كنصيبه من الإرث، ويأخذها لنفسه، وعندها يجوز لأخوته الاختيار دوريًا الواحد بعد الآخر، ويجوز للابن الأكبر سنا أن يختار حصته أولاً ويأخذها.أما بصدد الحصة الثانية فيتم الاختيار بالقرعة [2]

نخلص من هذه المواد أن الحضارة العراقية، فى الفترات التى سبقت ظهور العبريين، قد عرفت نظام البكورية، وأنها منحت الابن البكر العديد من المميزات، فتشير المواد إلى أنه كان يرث مكانة والده فى حالة وقوعه فى الأسر أو غيابه أو موته ، بما نصت عليه المادة (٢٨) من رعاية إقطاعية والده . وهو ما يعنى ضمناً مسئوليته عن الأسرة ومعاشها فى غياب والده؛ لذلك حرم عليه بيع أو رهن هذه الإقطاعية أو توريثها، مقابل هذا تضمنت المواد

---

(١) د . عبد العزيز صالح : سابق، ص ٥٣١ .

(٢) الذنون : سابق، ص ١٨٧ .

تفضيله عند تقسيم التركة، بمنحه النصيب المفضل، هذا بخلاف ما كان يكتبه له والده فى عين حياته، كما منحته المواد الأولوية فى اختيار حصته قبل أخوته، عند تقسيم الميراث بعد وفاة والده، وهذا لأنه الابن المفضل أو حسب ما اتفق عليه : الابن المحبوب .

مصر:

لم يختلف النظام اللاهوتى فى مصر عن نظيره العراقى كثيرًا، وكما كان الأخير يقوم على نظام الوراثة قام اللاهوت المصرى وبالتالى نظام الحكم، فمع تعدد الآلهة وكثرتها حاول الفراعنة إيجاد علاقة ما تختزل التعدد والتنوع، وكانت هذه العلاقة فى النظام الأسرى، اختاروا الإله الأكبر لصورة الأب، والإلهة الكبرى للأم، ولصورة الأبناء اختاروا الآلهة الشباب .

ففى طيبة أصبح «خنسو» ابناً للإلهة «موت» ، وفى دندرة أصبح «إيحى» ابنًا لحاتحور، وفى سايس اضطرت «نايت» أن تقبل تمساحاً «الإله سوبك» ابنًا لها، وإذا كان فى نفس المدينة إله آخر كبير يحظى بتقديس الناس، فليس من بد أن يكون هو الزوج والأب أيضًا وهكذا أصبح «آمون» زوجًا للإلهة «موت»، وأبًا «لخنسو»، واتخذ بتاح معبود «مفيس» من «ساخمت» (التى كانت رأسها على شكل رأس الأسد) حبيبة له، وأصبح ابنه ذلك المعبود الصغير «نفر ـ تم» الذى لم يكن سوى زهرة ، وهناك أمثلة كثيرة لهذه الأسرات الإلهية منتشرة فى كل مكان ، وأشهرها عائلة أوزوريس [١] فإذا

---

(١) أدلف أرمان: ديانة مصر القديمة ـ ت : عبد المنعم أبو بكر ومحمد أنور شكرى : ص ٨٣ .

أضيف ابن أو ابنة يتكون الثالوث المقدس، على سبيل المثال ان الإلهين آمون وأوزوريس يتلوهما فى الحال الثالوث آمون وموت وخونسو، أو أوزوريس وإيزيس وحورس [1]، وأنشودة آمون المدونة على بردية ليدن، يستهل محرر الأنشودة قصيدتة بالإشارة إلى هذا الثالوث :

ثلاثة هم كل الآلهة، آمون، رع وبتاح، الذين لا مثال لهم [2] .

وفى هذا النظام اللاهوتى كان هذا الابن هو الابن الأكبر، أو البكورى مفتتح الرحم، ويتضح هذا فى ترنيمة أوزوريس - ون - نفر - ببردية أنى :

مجدًا تتجمد يا أوزوريس أون نفر الإله العظيم فى «إبدو» (ابيدوس) .. ملك الأبدية .. سيد الخلود.. الذى عبر فى وجوده ملايين السنوات.. الابن البكر لرحم «نوت» من بذرة «سب إريمت» ... سيد ملوك الشمال والجنوب ... رب التاج الأبيض النبيل، إنه كأمير على الآلهة والبشر، قد تلقى عصا الصولجان والمذراة ورفعة الأباء المقدسين، ليرقد قلبه فى جبل «أمنت»، راضياً لأن ابنه «حورس» قد تربع على عرشه[3] .

---

(١) اريك هورنونج : ديانة مصر الفرعونية الوحدانية والتعدد، ت : د. محمود ماهر طه ومصطفى أبو الخير، مكتبة مدبولى القاهرة ١٩٩٥، ص ٢٢٨ .

(٢) فرانسواز دونان وكريستيان زفى كوش: الآلهة والناس فى مصر، ت: فريد بورى، دار الفكر للدراسات والنشر بالقاهرة ١٩٩٧، ص ٤٦ .

(٣) بردية آنى : كتاب الموتى الفرعونى، ت : والسن بدج، نقلها للعربية د. فيليب عطية، مكتبة مدبولى القاهرة ١٩٨٨ ، ص١٠ .

وفى ترنيمة أخرى :

لقد مهدت له الطريق وفعلت كل ما أمرت به، أتيت إلى «ددو» .. نظرت أوزوريس، تحدثت إليه عن ابنه البكر الذى يحبه (١) .

وكما اختزل (الكهنة) فقهاء الديانة المصرية اللاهوت فى النظام الأسرى المؤسس على البكورية، دشنوا أيضاً نظام الحكم فى نفس النظام الأسرى (البكورى) ، وكذلك سلك الكهنوت، على اعتبار أن الحاكم هو ناسوت الرب فهو منهم وهم آباؤه وهو ابن لهم، وكان كل إله أو إلهة فى المعبد يخاطبه على أنه ابنه، كما كان يدعوهما على أنهما أبوه وأمه، والآلهة لم تكن آلهة الشعب، بل كانت آلهة الملك ابنها، فهو الذى يشيد لها المعابد، ويحضر لها القرابين وهو صاحب الحق فى رؤيتها، وإذا قاموا بهذه الأعمال فإنما يقومون بها كممثلين له، وإذا ما أسبغت الآلهة على مصر طيباتها، فلا يحدث ذلك من أجل الشعب، بل حباً فى ابنهم (٢)، لهذا بدت الملكية الدنيوية شديدة الشبه بالملكية اللاهوتية، كل ملك هو ابن لم يسبقه، مهما كانت صلات الدم الحقيقية (٣)، وهذا الابن إن لم يكن البكرى يؤهل نفسه للبكورية، أو للملكية إن كان من خارج

---

(١) السابق : ص ٨٧ .

(٢) أرمان: سابق ص ٩٢ : ٩٣

(٣) دميترى ميكس وكريستين فافار ميكس : الحياة اليومية للآلهة الفرعونية، ت : فاطمة عبدالله محمود، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٠ ، ص ٦٢ .

الأسرة، وذلك لأنه كان من الشائع أن الملك ليس سوى الابن البكر للإله الأب أو للإلهة الأم، وكان الملك يفتخر بهذه البنوة، يقول تحتمس الثالث :

«أنا ابنه (آمون) لقد أمر أن أبقى على عرشه، وأنا لم أزل فرخًا فى عشه، لقد أنجبنى من بذرة شهوته.. وأمدنى بكل إشعاعه وغذانى بحكمة الآلهة.. وجعل ملكى أبديا، مثل ملك رع فى السماء .. وصنع آمون أبى كل ذلك، بسبب عظمة حبى له.. فأنا ابنه محبوب جلالته [١] .

ولكى يضمن الملك تقوية دعائم السلطة، وتأكيد خلافة الأسرة وتسلسلها، كان يشرك ابنه البكر معه فى الحكم، والشواهد الأثرية تركت لنا العديد من هذه الحالات، ففى عصر الانتقال الأول، كان خيتى الثالث (أختويس) يقوم بتعليم ابنه «مرى كارع» على أمور الحكم، وتشير النصوص أيضًا إلى أن «انتف» ابن «منتوحتب»، قد شارك أباه فى الحكم، وفى الدولة الوسطى شارك «سنوسرت الأول» أباه «أمنمحات الأول»، واستمر «سنوسرت الثانى» و«أمنمحات الثانى» شريكين فى الحكم طوال سنتين كاملتين، ومن المحتمل أن يكون «تحتمس الأول» قد شارك أباه «أمنحوتب» فى العرش[٢].

---

(١) كلير لالويت : نصوص مقدسة ونصوص دنيوية من مصر القديمة، ت : ماهر جويجاتى، دار الفكر للدراسات والنشر بالقاهرة ١٩٩٦، جـ ١ ص ٣٨ - ٣٩.

(٢) سوزان راتييه: حتشبسوت الملكة الفرعون، ت : فاطمة عبدالله محمود، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٨، ص ٣٤ .

وإذا كان الملك لم يكن قد أنجب الذكور ، أو كان الوريث مازال طفلاً، كانت تنشب الخلافات على العرش، وكان كل من المتصارعين يحاول أن يؤهل نفسه للبكورية والملك .

فقد كان «أوسر كاف» من سلالة من الفرع الثانوى لعائلة «خوفو»، وهو ما يعنى أنه لم يكن مؤهلاً لوراثة العرش، ولكى يقوى مركزه عند إنشاء أسرة جديدة، تزوج من «خنت كاوس» إحدى أميرات سلالة الأسرة القديمة التى سبقته (١).

وعندما توفى «أمنمحات بن أمنحوتب الأول»، خلفه على العرش «تحتمس الأول»، وهو ابنه لكن من زوجه ثانوية، ولكى يقوى مركزه، ويثبت شرعيته فى تولى العرش، تزوج من «أحمس» أخت «أمنحوتب الأول» (٢).

ولما توفى «تحتمس الأول» كان ابنه مازال صغيرًا، بين السادسة والعاشرة من عمره، بعد الوفاة قيل إن والده سبق وشاركه فى الحكم، وأن "آمون" نصبه كى يصير ملكًا، لكن زوجة أبيه حتشبسوت لم تترك له العرش، وسعت للحصول على صك وصاية تحت دعوى صغر سنه (٣).

---

(١) د. عبد الحميد زايد: مصر الخالدة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٢، جـ ١ ص٢٨١ .

(٢) نيقولا جريمال: تاريخ مصر القديمة، ت: ماهر جويجاتى، دار الفكر للدراسات والنشر بالقاهرة ١٩٩٣، ص ٢٦٤ .

(٣) تشارلز نيمس: طيبة آثار الأقصر ، ت : د. محمود ماهر طه، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٩ ، ص ٢٨ .

وعندما اطمأنت حتشبسوت لقوة مركزها وكثرة مُريديها، نحت الغلام وأرغمته على الاعتكاف، وبررت هذا بقصة روجها أتباعها: أن الإله آمون رع أنجبها بنفسه أو من روحه، وأن أباها البشرى تحتمس الأول ارتضى هذه البنوة وأعلنها شريكة له فى الحكم خلال حياته ، وأوصى لها بالملك بعد مماته (١).

ولكى يؤيد تحتمس الرابع حقه فى العرش بين عدة أخوة من أمهات مختلفات ، أشاع قصة عرفت اصطلاحاً باسم قصة الرؤيا، مؤداها أنه حدث فى إحدى رحلات صيده للغزلان بصحراء الجيزة، أن آوى إلى الظل بجوار تمثال أبى الهول، وأخذته سِنَةٌ من النوم، رأى الإله فيها يتحدث إليه بلسان مبين ويقول له: ولدى تحتمس، تأملنى فأنا أبوك، إنى واهبك ملكى على الأرض لتصبح سيداً على الأحياء، وستكون لك الأرض بطولها وعرضها وكل ما تضيئه عين رب الكل ـ وهأنذا موليك فكن حفيظاً على شئونى(٢).

أما خوفو فقد كرس أمره على أن يخلفه ولده الأكبر «كاوعب» على العرش، غير أن كاوعب هذا مات قبل وفاة أبيه بقليل، فانقسمت الأسرة الحاكمة إلى ثلاثة فروع، تربص كل فرع منها بالآخر، وحاول أن يستأثر بالحكم، فرع أبناء الزوجة الرئيسية «أم كاوعب»، وفرعًا من زوجة ثانية ترأسه جد فرع، وفرع من زوجة

---

(١) د. عبد العزيز صالح ـ الأسرة فى المجتمع المصرى القديم ـ ص ٣٥ .

(٢) د . عبد العزيز صالح: الشرق الأدنى القديم ، جـ ١ ص ٢١٩ .

ثالثة ترأسه خفرع، فى نهاية الصراع استطاع جد فرع أن يفوز بالعرش، وذلك بزواجه من أرملة أخيه ولى العهد القديم كاوعب، ليزكى حقه فى العرش [1].

وهذه الحيلة كانت تُسمى فتح بيت البكورى، ويقوم فيها الأخ التالى للبكورى بالزواج من أرملته، لينجب ابنًا ذكرًا باسم المتوفى، هذا إذا كان البكورى قد توفى قبل إنجاب وريثه بكره، وهذا العرف كان سائدًا فى بلاد النهرين، وأخذه شعب بنى إسرائيل، وسنه موسى على الشعب فى سيناء .

وبهذا يتبين من النصوص السابقة أنه فى حالة غياب ولى العهد الشرعى، الابن البكر ابن الزوجة الشرعية المحبوبة لزوجها، يتزوج أحد أبناء الأسرة المالكة بولية العهد ليرث العرش، وإذا كان الملك قد أنجب ذكوراً من زوجات أخريات يتزوج أحدهم بأرملة ولى العهد (البكورى)، وفى حالة عدم وجود الزوجة ينسب بنوته للإله الأكبر، ويحصل على تفويض منه بالحكم ، ولهذا يكون مؤهلا للبكورية.

وعلى غرار النظام اللاهوتى والملكى، سار الكهنة، فالثابت مما وصلنا من شواهد أثرية، أن الكهنة قاموا بتوريث الوظائف الكهنوتية لأكبر أولادهم، وهو ما سنتناوله بشكل مفصل خلال مبحث قادم .

---

(١) السابق : ص ١٢٦ .

وبالنسبة للحياة الاجتماعية، أعيد تنظيم الأسرة المصرية، بحيث أصبح الابن الأكبر هو أساس الأسرة وعمودها، فقد نصَّبه القانون وصياً على الأسرة بعد وفاة الأب أو فى حالة عجزه أو مرضه أو غيابه، كما نصبه وصياً على تركته وطقوس موته، كما كفل هذا القانون للبكورى حق الوصاية على أمه بعد أن كانت تحت سلطة الزوج [1]، وكانت الأم عندما يبلغ البكورى سن الرشد تقول له : «ما أجملك» ، والأب يقول له : «ياوريثى» [2]، وفى عقود الزواج كان يقر الزوج فى الوثيقة بعدة تعهدات، منها أن يقر ويتعهد لها : «أن ابنك البكر منى سوف يرث كل ما أملك من عقار فى الحاضر والمستقبل [3]، وكانت سيدة البيت هى الزوجة الشرعية والزوجة المحبوبة [4]، وكثيرًا ما كان الأب المورث، ينص فى وصيته، على عدم تصرف الورثة فيما يتركه لهم، وكان يذكر فى بعض عقود التوريث: أنها مورثة لشخص واحد، وكان أحياناً يعين الشخص التالى للبكورى، وهو الحفيد[5].

---

(١) سليم حسن: مصر القديمة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٢، جـ ٢ ص ٥٢٥ .

(٢) هرمان رانكه وأدولف أرمان : مصر والحياة المصرية فى العصور القديمة، ت : عبد المنعم أبو بكر ومحرم كمال، النهضة المصرية، ص ١٦٥ .

(٣) فلندرز بترى: الحياة الاجتماعية فى مصر القديمة، ت : حسن محمد جوهر وعبد المنعم عبد الحليم، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٥ ص ٢١٧ .

(٤) رانكة : سابق ص ١٥٧ .

(٥) بترى : سابق ص ٢٢٤ .

ومنح أيضاً القانون الأب الحق فى أن ينصب وصياً فى حالة عدم إنجابه الذكور أو إذا كان ابنه عاقاً، أو إذا كان أولاده صغار السن بعد، ويبين هذا خطاب كتبته أرملة تدعى « نفر - سفخى» لزوجها المتوفى، من الخطاب نعلم أنها كانت لها ابنة وأقيم عليها وصى، ورفض الأخير أن يعطى الأرملة مالاً لتربية ابنتها، فكتبت الأرملة لزوجها المتوفى خطابًا، تتضرع إليه أن يتدخل فى أمرها فى عالم الآخرة حتى تنال حقها (١). وكثيرًا ما يكون البكورى عاقاً مع أمه، فيسىء معاملتها ويحجب عنها المال أو يغلق أمامها بابه، فترسل الأم خطابًا لزوجها تحثه على التدخل.:

ثر عليهم ومعك آباؤك وأخوتك وأصدقاؤك الموتى.. واطلب من ابنك بأن يحافظ على بيت أبيه، ليتمكن ابنك من الاحتفاظ ببيتك وإدامته؛ كما حافظت وأدمت أنت منزل أبيك (٢).

وغالباً ما كان البكورى يتولى الوصاية فى حياة والده ، وتحديدًا فى حالة عجزه عن العمل لمرضه أو لكبر سنه أو فى حالة سفره، ويتضح هذا فى رسائل (حقا نخت) كاهن ومزارع، سافر إلى منف، أرسلها إلى ولده الأكبر فى طيبة مع أخوته الخمسة، وتتبدى فيها شدته عليه، وتحميله مسئولية الأسرة كاملة، فكتب إليه فى بعض أموره يقول «إذا طغى الفيضان على أرضى فالويل لرجالى ولك، ولن ألقى المسئولية إلا عليك »، ويقول : «عليك أن تبذل الجهد فى

---

(١) سليم حسن : سابق ج ٢صـ ٥٢٩

(٢) كرستيان ديروس: المرأة الفرعونية - ت : فاطمة عبد الله - هيئة الكتاب ص ٢٨٩ .

أرضى واجتهد بأقصى ما تستطيع واعزق الأرض وتدخل فى كل عمل»، وعن شقيقه الصغير قال له : «إذا لم يكن لسنفر ما يكفيه معك فى البيت، فلا تتوان عن إخبارى، فقد بلغنى أنه غير راض، اعتن به كثيرًا واعطه مؤنته، وعليك أن تمتعه بكل ما يحب» (١).

وبجانب هذه الامتيازات والواجبات التى خصت للبكورى، كان عليه أيضاً أن يراعى مقبرة أبيه (٢)، وكانت تئول إليه بحكم بكوريته إقامة مراسم الشعائر الدينية والجنائزية، وإدارة الإقطاعات الجنائزية التى تركها الأب للإنفاق على قبره (٣).

وهذه الوظيفة فى بداية الأسرات اختار لها الملوك كبار موظفيهم، أطلق عليهم «المقربون» أو «كهنة الميت»، وينحصر عملهم فى تزويد الميت بالقرابين وإقامة الشعائر والطقوس الضرورية، من تقديم الطعام، وقراءة التراتيل، وتقديم التعاويذ، والتماثيل، خلال الأعياد والاحتفالات، بغرض إبعاد الشرور عن الميت، ومساعدته فى وصول نفسه إلى العالم الآخر بسعادة (٤)، وفى أواخر الأسرة الرابعة اكتشف الملوك أن هؤلاء الموظفين يستولون على أوقاف الأموات، ولا يلتزمون بتقديم القرابين وإقامة الشعائر، فنقلوا وصية

---

(١) د. عبد العزيز صالح : سابق ص ١٦٨ .

(٢) أرمان : سابق : ص ٣٣٩ .

(٢) سليم حسن : سابق : جـ ٢ ص ٥١٦ .

(٤) أرمان : السابق ص ٣٤٤.

هذه التركة من الموظفين أو كهنة الميت، إلى البكورى لضمان استمراريتها بعد وفاتهم، وكان البكورى يفخر بهذه المسئوليات، فتشير بعض النقوش التى كتبت على واجهة إحدى المقابر، أن البكورى كان يدون نسبة، ثم يترجم لنفسه مفتخرًا بأنه : «المحيى لذكرى أسرته ونسلها، والأمين على عقارها ، والكاهن الذى يقيم شعائرها [1]. والكهانة التى نسبها البكورى لنفسه هنا، ليست الوظيفة التى تعارف عليها داخل أروقة المعابد، والتى ينعزل فيها عن المجتمع لخدمة الرب وطقوسه، بل لم تتعد الإشراف والإنفاق على إقامة شعائر والده المتوفى، بأن يجلب القراء كهنة الميت ليقرءوا الأوراد على جثة والده، فضلاً عن شرائه القرابين والتماثيل وكل ما يحتاجه الميت فى قبره ويقدمها له ، وكذلك إقامة الصلاة وتقديم القرابين للإله نيابة عن الأسرة.

نخلص مما سبق أن الحضارة المصرية القديمة من بداية الأسرات، عرفت ما يسمى بنظام البكورى، وأنها منحته عدة امتيازات وواجبات، ويتبين من العرض السابق أنه كان المسئول عن الأسرة فى غياب والده؛ بالموت أو المرض أو العجز أو السفر، ومسئوليته تشمل كل شئون أفراد الأسرة، من الأمور الحياتية اليومية وحتى الشعائر الجنائزية بعد الوفاة، ومقابل هذا لم تفصح النصوص التى وصلتنا عن أية امتيازات مالية، لكن يفهم ضمنًا أنه مقابل كل هذه المسئوليات والواجبات ، كان هناك المقابل المادى،

---

(١) سليم حسن: سابق ٢/٥٣٢.

ربما كان يرث ضعف نصيب أخوته ، وربما أكثر وربما لا ؟ .

على أية حال يتبين مما سبق، أن منطقة الشرق الأدنى القديم (مصر - العراق - سوريا - فلسطين) عرفت ما يسمى بالبكورية، قبل أن ترد بالنصوص التوراتية، وأن قوانين هذه البلاد تضمنت بعض المواد التى منحت البكورى بعض الامتيازات والواجبات، أهمها أنه كان المسئول عن شئون الأسرة بعد والده، أو بمعنى آخر كان رب الأسرة التالى ، بما تحمله هذه العبارة من دلالة مادية ومعنوية.

كما يهمنا أن نشير هنا إلى أن نظام البكورية هذا، شمل اللاهوت والحكم ورجال الدين والأسرة، وأغلب الظن أن فقهاء المعابد بالاشتراك مع الحكام، قاموا بتطوير هذا النظام للمجتمع ككل، بعد أن كان مطبقًا فقط لخدمة الحياة السياسية، ولتنظيم اللاهوت واختزاله .

لهذا نستطيع الاطمئنان للقول : بأن البكورية كانت قانونًا اجتماعيًا، عرفته منطقة الشرق الأدنى القديم، قبل وروده في التوراة بمئات السنين .

الفصل الثالث

أدوات البكورى: ١

التركــــة

تبين خلال مبحث الدلالة أن حقوق البكورية تمنح للابن البكر، أو لمفتتح الرحم من الذكور، فى عدة حالات، عند عجز الأب [1] عن العمل؛ لمرضه أو شيخوخته، وفى غيابه بالسفر أو الوقوع فى الأسر أو غيرها مما يتطلب ابتعاده عن الأسرة، وقبل الوفاة، فقد كانت للأب فى الحضارات الشرقية القديمة سلطات واسعة ومطلقة، على سبيل المثال، كان له حق بيع أولاده إن أراد، وأن يزوج بناته من يشاء، كما كان له أن يتزوج أكثر من امرأة، سواء كانت حرة أو أمة، ومنحه المجتمع حق الاعتراف بأولاده من سرارية وتوريثهم أو إنكارهم، كما كان من حقه فى بعض المجتمعات - خاصة الكنعانية، وفيما بعد العبرية - أن يقدم ابنه كأضحية على مذبح الرب .

واتضح أن حقوق البكورية لها شقان؛ أحدهما مادى، وقد أطلقنا عليه : التركة، والآخر معنوى ويسمى: البركة، وتبين أن البكرى

(١) الأب : كلمة سامية، وردت بهذا اللفظ فى العبرية والفينيقية والآشورية والآرامية والسريانية والسبئية والحبشية والعربية.. انظر : قاموس الكتاب المقدس: مادة :أب .

يستطيع التنازل عن حقه المادى بالمقايضة أو البيع وربما الرهن، وأن هذا الحق جاء غير محدد ولا مميز عند إبراهيم وإسحاق ويعقوب ويوسف، وحدد فى عصر موسى بنصيب اثنين من الميراث، واتضح أن للبركة أهمية تفوق التركة، وأنه فى حالة خروجها من الأب لا ترد، وأنها تصدر عن الأب مرة واحدة، وأن أية مباركة تالية للأب تكون تفسيرية للأولى وتابعة لها، وأن البكرى يحرص على أن يمنحه الأب مباركته، واتضح أيضًا أن الأب يبارك بها البكرى ، فى الغالب ، وهو على سرير الموت .

كما تبين خلال المبحث السابق أن الحضارات الشرقية القديمة عرفت حقوق البكورية، وأنها كانت تأخذ بها فى اللاهوت والكهنوت ونظام الحكم وداخل الأسرة، وأن البكرى كان الرب والحاكم وسيد الأسرة، واتضح أيضًا أن إله موسى قوض نظام البكورية فى مصر، من خلال ضربته العاشرة للمصريين، وأنه قام بفرض هذا النظام - البكورية - على بنى إسرائيل عقب خروجهم من مصر مباشرة، إذ أوصى موسى أن يفرز له كل بكر من الإنسان والحيوان والنبات، وأن يجنبهم له كتقدمة وأضحية، وأنه أمره أن يقدم أبكار قبيلته اللاويين عوضًا عن أبكار سائر الأسباط، وأن يخصصهم له للخدمة داخل وخارج بيته (الخيمة - المعبد)، على أن تفدى الأسباط أبكارها من الإنسان بكبش، وأن تُقدم له على المذبح أبكار الحيوانات - عدا الحمار أمره أن يكسر عنقه - والمحاصيل والخبز وكل ما هو أول الأشياء : وقال الرب لموسى: خصص لى كل بكر ذكر، كل فاتح رحم من بنى إسرائيل هو لى ، كل بكر من الناس أو

البهائم (خروج ١٣: ١) .. إنك تفرز للرب كل ذكر فاتح رحم، وكذلك كل بكر من نتاج البهائم التي تملكها يكون للرب، إنما كل بكر حمار تفديه بحمل، وإن لم تفده تدق عنقه ، وكذلك تفدى أيضًا كل بكر من بنيك (١٣ :١٢)، وحين يسألك ابنك في الأيام المقبلة: ما معنى هذا ؟، تجيبه: إنه بيد قديرة أخرجنا الرب من ديار العبودية، وعندما تصلب فرعون وامتنع عن إطلاقنا، أهلك الرب كل بكر في بلاد مصر، من أبكار الناس والبهائم، لذلك أنا أقرب للرب الذكور من كل فاتح رحم، وأفدى كل بكر من أولادى، فتكون هذه الفريضة بمثابة علامة على يدك ورمزًا على جبهتك، لأن الرب قد أخرجنا بيد قديرة من مصر (١٣ : ١٤) كما طلب منه الباكورة أول الغلات تقدم له، وهذه الباكورات كانت تقدم له كما هى، مثل الحبوب والعنب والصوف، أو بعد تجهيزها؛ كما في حالة الدسم والزيت والدقيق والعجين (خر ٢٣ : ١٨ ، عدد ١٥: ٢٠، ١٨ : ١٢، تث ٢٦ : ٢، لاوين ٢٣ : ٩ و١٧)

ويتضح مما سبق أن حقوق البكورية هذه هى مجرد أدوات، يمنحها الأب لبكره لكى يستطيع أن يواجه الحياة، بالتسيد على أشقائه، والقدرة على مواجهة الآخرين، خاصة وأن هذه الأدوات تتمثل فى التركة؛ وهى الثروة، وفى البركة، وهى الصياغة السحرية.

فى هذا المبحث نحاول التعرض بالبحث والدراسة للأداة الأولى من أدوات البكورى، وهى التركة، ونحاول أن نتعرف على حدودها

وحجمها ونوعيتها ؛ هل هى نصيب مميز فقط من الميراث أم أن التركة، أو كما أطلق عليها محررو التوراة حق البكورية، تشمل ميزات اجتماعية وأسرية أخرى؟، وهل تمنح هذه التركة لكل مفتتح رحم أم لشخص بعينه ؟، وهل ميزت النصوص بين الابن البكر والابن الأكبر؟، هل كل من افتتح الرحم من الذكور يصلح لأن يكون صاحب البكورية؟، وما الشروط التى يجب أن تتوافر فى مفتتح الرحم لكى يؤهل للبكورية؟، وهل النصيب المميز من الميراث الذى حدده موسى فى نصيب اثنين من ميراث والده، هو الذى كان متبعا أيام إبراهيم وإسحاق ويعقوب ويوسف؟.

التركة:

استخدم محررو العهد القديم عبارة (يروشه - إرث) للإشارة إلى الملكية الثابتة والمنقولة من عقار وحيوان ، وهى بمعنى (إرث - مقاطعة)، لتعبر عما ينقل عن طريق قانون الميراث [١]، واستخدموا العبارة (نحله) [٢] بمعنى إرث وراثة، لتشمل وراثة الصفات الجسدية والنفسية من الآباء، بالإضافة إلى وراثة الأشياء الثابتة والمنقولة عن طريق الوصية أو القانون [٣].

---

(١) تث ١٠ : ٩، روث ٤: ٦ ، يوشع ١٣ : ٢٣ .

(٢) تك ١٥ : ٣، العدد ٢٧ : ٨ .

(٣) سوزان السعيد يوسف : المرأة حقوقها وواجباتها فى الشريعة اليهودية، رسالة ماجستير غير منشورة آداب القاهرة ١٩٨٣ ص ١٢٤ .. وانظر : ابن شوشان: مادة : الميراث، وخزانة إسرائيل : جـ ٥ ص ١٩٩ .

ويتضح من هذه الدلالة أن اللغة العبرية ميزت بين الميراث المعنوى والميراث المادى، فى الأولى يرث الابن صفات نفسية وأخرى جسدية؛ بالولادة والاكتساب والتربية، وفى الثانية تنقل إليه حسب العرف الاجتماعى .

والسؤال الآن: هل تخضع التركة للدلالتين؟، هل التركة نصيب مميز فقط من الميراث أم هناك مميزات أخرى؟، هل النصيب المميز حق مما يتركه والده فقط أم أنه حق من السلطة الأبوية ومما يتركه من مال وأرض وماشية؟.

الدلالة المادية:

بداية نشير إلى أننا لا نستطيع أن نقطع، بأن ما أشار إليه موسى من حق البكورى فى الإرث: «نصيب اثنين من كل ما يملكه ـ التثنية ٢١ : ١٥»، كان المتبع فى عصر الأنبياء الآباء، كما لا نستطيع القطع بأن قانون الميراث كان واحداً فى العصرين، والشىء الذى نستطيع التأكيد عليه ، هو وجود بعض الاختلافات، غير الجوهرية، فى المواريث خلال العصرين ، هذه الاختلافات قد تعود إلى الفرق الحضارى ما بين عصر الآباء وعصر موسى، وربما إلى تطور قانون الميراث ذاته فى الحضارات الشرقية ما بين العصرين السالفين، لاسيما وأن أصول التشريع التوراتى تعود فى أغلبها إلى هذه الحضارات، وتنحصر هذه الاختلافات فى مسألة توريث المرأة، ونصيب البكورى من التركة، والذى حددته شريعة موسى بنصيب ذكرين، حيث أن نصوص عصر الآباء، لم تشر إلى إمكانية توريث

المرأة، كما لم تحدد نصيب البكورى من الميراث، وكل ما أشارت إليه فقط أن البكورى كان العمود الفقرى لقانون الميراث، لذا انحصرت مواد هذا القانون، إن جاز لنا هذا التعبير، فى التكريس لتوريث البكورى فى عدة حالات، فى حالة غيابه وفى حالة وجود شركاء له من الأشقاء والأخوة، وأشارت أيضًا إلى أسباب حجب الميراث عنه فى حالة وجوده، وأيضاً حقه فى بيع ميراثه، وسنحاول خلال السطور القادمة توضيح هذا.

مواريث إبراهيم وأولاده :

النصوص الخاصة بتركة إبراهيم وأولاده تشير وحدها إلى عدة حالات :

الحالة الأولى: توريث أول عبد ولد فى بيت سيده فى حالة عدم إنجاب السيد .

وهو ما يتضح فى حوارلإبراهيم مع الرب : أيها السيد الرب، أى خير فيما تعطينى وأنا من غير عقب ووارث بيتى هو أليعازر الدمشقى؟، وقال : إنك لم تعطنى نسلاً وها هو عبد مولود فى بيتى يكون وريثى (١) .

ووراثة العبد لسيده لم تكن نهائية، بل كانت أقرب للوصاية على التركة وإدارة شئون منزل السيد، فى حالة عجزه أو غيابه أو وفاته، حتى وفاة الزوجة أو تزويج الفتيات، وربما كان السيد يعمل على تحرير العبد وتبنيه، وهنا يختلف الوضع، إذ أنه فى هذه الحالة

---

(١) تك ١٥: ٢.

يعامله معاملة البكر، وهذه العادة كان مأخوذاً بها فى القوانين الشرقية القديمة، وتتضح فى رسالة الأرملة «نفر سفخى» لزوجها المتوفى، من هذا الخطاب نعلم أن نفر سفخى كانت لها ابنة أقيم عليها وصى، وقد رفض الأخير أن يعطى الأرملة مالاً لتربية ابنتها مما تستحقه من دخلها. كتبت الأرملة لزوجها المتوفى خطابًا تضرع إليه أن يتدخل فى أمرها فى عالم الآخرة حتى تنال حقها (١)، وأفرد حمورابى فى قانونه لهذه الحالة سبع مواد.

المادة ١٨٥: إذا تبنى رجل طفلاً صغيرًا ورباه وعلمه، فلا يمكن استعادة هذا الطفل بالطرق القضائية.

المادة ١٨٦: إذا تبنى رجل طفلاً صغيرًا وعرف بعد التبنى والده ووالدته، فإن هذا الطفل يستطيع العودة إلى بيت والده .

المادة ١٨٧: لا يجوز استعادة ابن أحد أفراد البلاط الملكى أو ابن تابع للقصر بالطرق القضائية .

المادة ١٨٨: إذا تبنى حرفى طفلاً صغيرًا ورباه وعلمه صنعة، فلا يمكن استعادته بالطرق القضائية (٢) .

المادة ١٨٩: إذا لم يكن قد علمه حرفته، فيمكن أن يعود الطفل إلى بيت أبيه (٣) .

---

(١) سليم حسن: سابق : جـ ٢ ص ٥٢٩ .

(٢) الذنون: سابق ص ١٢٥

(٣) محمد بيومى مهران: تاريخ العراق القديم، دار المعرفة الجامعية الأسكندرية ١٩٩٠ ص ٢٧٤ .

المادة ١٩٠: إذا تبنى رجل طفلاً صغيرًا ورباه حتى أصبح شابًا، ولكنه لم يعتبره من بين أبنائه، يستطيع المتبنى أن يعود إلى بيت والده .

المادة ١٩١: إذا تبنى رجل ولدًا ثم أقام له أسرة، ثم رزق بأولاد فيما بعد، ورغب فى إبعاد المتبنى، فلا ترد إلى أهله صفر اليدين، وإنما يهبه ما يساوى ثلث ما يملك (١) .

والتبنى هنا جاء على عمومه دون تخصيص، وهو ما يعنى أنه من الممكن أن يقع على العبد أو الحر بشكل عام، خاصة وأن بعض المواد تشير إلى حالات التبنى للطفل مجهول النسب، وقد يكون هذا الطفل من أولاد العبيد أو لا، كما أن المواد التى أشارت إلى تبنى الطفل، ومنحته حق العودة إلى بيت والده، جاءت على عمومها، ولم توضح إذا كان هذا الطفل من أسرة تقع فى الرق أم من أسر حرة.

الحالة الثانية: التى تشير إليها تركة إبراهيم هى: توريث ابن السرية امتيازات البكورية، إذا كانت الزوجة الحرة عقيماً .

فإبراهيم عد إسماعيل ابن سريته هاجر البكر، قبل إنجابه إسحاق ابن زوجته سارة، فكان المتبع فى المجتمعات الشرقية والعبرية فيما بعد، أن ينسب ابن الجارية لسيدتها، وليس لها، وذلك فى حالة عقم السيدة ، وهو ما فعلته سارة ، فقد كانت عاقرًا ، وكانت لها جارية مصرية تدعى هاجر، فقالت ساراى لإبرام: هو ذا

---

(١) الذنون : السابق ص ١٢٥

الرب قد حرمنى من الولادة، فادخل عليها لعلنى أرزق منها بنين[1]، وقامت راحيل بعمل نفس الشيء مع يعقوب فى فترة عقمها، إذ قالت له : «ها هى جاريتى بلهة، عاشرها فتلد ويكون لى منها بنون[2]، وكذلك ليئة شقيقتها : «عندما كفت عن الولادة أخذت جاريتها زلفة وأعطتها ليعقوب زوجة» [3] ، وهو ما كان متبعًا بين السيدات فى مصر وبلاد الرافدين، ونحب أن نشير فى هذه الحالة إلى أن ابن السرية يختلف عن العبد الذى تمت تربيته فى بيت سيده، لأن الأول ثمرة زواج بين الرجل وسريته، ويعد ابنه من الدرجة الأولى فى حالة عدم إنجاب زوجته الحرة، ويعد ابنا من الدرجة الثانية، إذا أنجبت سيدة البيت ، وفى الحالة الأولى ينسب أولاد السرية إلى سيدتها، خاصة الذكور منهم، والعرف الاجتماعى منح الأب حرية الاعتراف بأولاده من سراريه أو إنكارهم، ويترتب على اعترافه بهم منحهم حقوق الأبناء، كما قننت أعراف وقوانين الحضارات القديمة مكانة هذه السرية داخل المنزل فى حالة زواجها من رب البيت، إذ تشير مواد قانون حمورابى إلى هذه الحالة.

المادة ١٧١ : إذا لم يعترف الأب فى حياته بهم ويقول: أطفالى، لمن جاءت بهم الجارية فإن أبناء الجارية لا يشاركون أبناء الزوجة

---

(١) تك ١٦: ٢ .

(٢) تك ٣٠ : ٣ .

(٣) تك ٣٠ : ٩٠ .

الأولى فى متاع الأب بعد وفاته، ولكن تحرر الجارية أولادها، وليس لأبناء الزوجة الأولى عليهم حق الخدمة، وتأخذ الزوجة الأولى بائنتها وهدية الزواج التى كتبها زوجها لها على لوحة، وتعيش فى بيت زوجها طيلة حياتها، دون أن يكون لها حق بيعه، لأنه ميراث يخص أولادها [١].

الحالة الثالثة: حجب بكر الحرة امتيازات البكورية عن بكر السرية .

حيث كانت المجتمعات لا تعتبر ابن السرية بكرًا سوى فى حالة عدم إنجاب الحرة، فإذا أنجبت الحرة سلبت امتيازات البكورية من ابن السرية، وهذه الحالة قائمة على فكرة نقاء الدم والحفاظ على النسب، وهو ما فعله إبراهيم عندما أنجبت سارة إسحاق، ورثه «كل ماله» [٢]، على اعتبار أن المجتمعات الشرقية، خاصة عند البابليين وطبقة الحكام والأمراء الفراعنة، كانوا يأخذون بمبدأ الزوجة الواحدة، وكان يطلق على هذه الزوجة «الأثيرة» أو «المحبوبة» ، وكانت مسألة توريث أولاد الجوارى والجارية نفسها فى مصر أمرًا ميسورًا، إذ تشير عقود التملك والزواج من الجوارى، إلى أن الميراث يخضع لرغبة الزوج وموافقة الزوجة، ويتبين من خلال النص المحرر فى أحد عقود الزواج التى وصلتنا، أن هذه الزيجة ترتب عليها تحرير الجارية وأولادها الذين سيأتون، ويفهم من نص العقد

---

(١) مهران : سابق ص ٢٧١ .

(٢) تك ٢٤ : ٣٦ و ٢٥ : ٥ .

أن إحدى السيدات قامت بتزويج شقيقها ويدعى «باديو» من جاريتها الشابة، إذ جاء فيه: أنا (سيدتها) أقبله (باديو) من أجلها (الجارية) إذن سيكون معها منذ هذا اليوم، والآن انظروا، لقد جعلت منها امرأة فى أرض الفرعون، وإذا حملت ولدا أو بنتا، فسيصبحان أحرارا فى أرض الفرعون، وفقا لنفس السياق، لأنهم سوف يعيشون مع رئيس الأسطبل باديو شقيقى الأصغر [1]، وهناك بعض الحالات التى أشارت إلى قيام بعض السيدات المرموقات الثريات بتبنى أبناء بعض جواريهن ، ومنحوهن هبات قيمة [2] ، وفى الحضارة البابلية تضمنت المادة (١٧٠) من قانون حمورابى على التالى : إذا رزق رجل من زوجته الأولى بأطفال، ثم جاءته جاريته أيضًا بأطفال، واعترف الزوج بهم فى حياته وقال: أطفالى، وعدهم مثل أطفال الزوجة الأولى، فإن تركته تقسم بعد موته بالتساوى بين أطفال الزوجة الأولى وأطفال الجارية، على أن يكون لولده البكر من الزوجة الأولى نصيب مفضل [3] .

الحالة الرابعة: خضوع توريث أبناء السرارى إلى رغبة الأب، إذا أراد منحهم جزءًا على سبيل الهبة .

---

(١) كرستيان ديروش نوبلكور: المرأة الفرعونية، ت : فاطمة عبدالله محمود، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٥ ص١٩٧ .

(٢) السابق : ص ١٩٨

(٣)مهران : سابق ص ، ٢٧١.

فعل هذا إبراهيم مع أولاده (زمران - ويقشان - ومدان، ومديان، ويشباق ، وشوحا) من سريته قطورة: فقد أعطاهم إبراهيم عطايا، وصرفهم فى أثناء حياته نحو أرض المشرق بعيدًا عن إسحاق ابنه[1]،أو يعترف بهم أولادًا مثل سائر أولاده من زوجته الحرة، ويمنحهم أنصبة متساوية، مثلما فعل يعقوب مع أولاده من الحرتين (ليئة وراحيل) ، ومن السريتين (ذلفة وبلهة)، تحت مسمى أصحاب امتياز البكورية [2] .

وقد منح قانون حمورابى الزوج حرية الاعتراف بأولاده من سراريه أو إنكارهم، واشترطت المادة تحرير الجارية وأولادها فى حالة عدم اعتراف الزوج بهم، وأكدت على عدم خضوع أولاد السرية إلى سلطة أشقائهم من والدهم، أو إجبارهم على خدمتهم[3] .

الحالة الخامسة: عند وفاة البكورى قبل إنجابه، يقوم الأب بتزويج أرملة البكورى لأحد أشقائه لينجب منها ذكرًا ينسب للبكورى المتوفى :

يهوذا بن يعقوب: أخذ لعير بكره زوجة تدعى ثامار، وكان عير بكر يهوذا شريرًا، أماته الرب، فقال يهوذا، لآونان :ادخل على زوجة أخيك وتزوجها وأقم لأخيك نسلاً، وعرف أونان أن النسل لن

---

(١) تك ٢٥ : ٦ .

(٢) تك ٤٨ : ٥ .

(٣) د . توفيق سليمان : سابق ص٢١٤ ، المادة ١٧١ .

يكون له، فكان كلما عاشر امرأة أخيه يفسد على الأرض، لكى لا يقيم لأخيه نسلاً ، فساء عمله فى عينى الرب فأماته أيضاً (١)، وهذه العادة أقرها موسى فيما بعد، وإن كانت لسائر الأشقاء بشكل عام : إذ سكن أخوة معًا ، ومات أحدهم من غير أن ينجب ابنًا، فلا يجب أن تتزوج امرأته رجلاً من غير أفراد عائلة زوجها، بل ليتزوجها أخو زوجها ويعاشرها ، وليقم نحوها بواجب أخى الزوج، ويحمل البكر الذى تنجبه اسم الأخ الميت، فلا ينقرض اسمه من أرض إسرائيل، وإن أبى الرجل أن يتزوج امرأة أخيه، تمضى المرأة إلى بوابة شيوخ المدينة وتقول :قد رفض أخو زوجى أن يخلد اسمًا لأخيه فى إسرائيل، ولم يشأ أن يقوم نحوى بواجب أخى الزوج، فيدعوه شيوخ المدينة ويتداولون معه فى الأمر، فإن أصر على الرفض وقال : لا أرضى أن أتزوجها، تتقدم امرأة أخيه إليه على مرأى من الشيوخ، وتخلع حذاءه من رجليه وتتفل فى وجهه قائلة: هذا ما يحدث لمن يأبى أن يبنى بيت أخيه، فيدعى فى إسرائيل بيت مخلوع النعل (٢).

وهذه العادة كانت متبعة فى الحياة الاجتماعية المصرية والعراقية مع بعض الاختلافات، فقضت الشرائع الآشورية لوالد الخطيب الذى فقد ولده بأن يزوج خطيبته لأحد أولاده الذين بلغوا العاشرة، أو أحد أحفاده (مادة ٤٣)، وسمحت للأرمل غير ذات

(١) تك ٣٨: ٦.

(٢) التثنية ٢٥ : ٥.

الولد بأن تتزوج أحد أبناء زوجها من زوجة أخرى (المادة ٤٦) (١)، وفى مصر تزوج «جد فرع» ابن خوفو بأرملة شقيقه الأكبر ولى العهد «كاوعب» لكى يفوز بالعرش بعد وفاة والده (٢)، ونصت المادة ١٩٣ من الشرائع الحيثية: أنه فى حالة وفاة رجل، فأرملته كانت تزوج أولاً لأخيه، فإذا مات أخوه فلأبيه، وإذا مات فلابن أخيه أو لابن أخته (٣) .

الحالة السادسة: من حق البكورى أن يبيع ميراثه أو يتنازل عنه.

والنصوص تشير إلى قيام عيسو بن إسحاق بالتنازل عن امتيازات بكوريته إلى شقيقه يعقوب، مقابل وجبة عدس (تك ٢٥: ٢٩)، وهذا الحق سمحت به التشريعات العراقية، حيث اكتشفت فى النقوش التى وجدت فى (نوزى) أن أحدهم باع بكوريته لأجل نعجة (٤)، واستنت شريعة «أشنونا» (٥) مبدأ الشفعة فأقرت حق الأخوة فى شراء نصيب أخيهم من الميراث (٦) .

---

(١) رضا جواد الهاشمى: القانون والأحوال الشخصية - حضارة العراق - جـ ٢ ص ٨٣

(٢) د. عبد العزيز صالح سابق ص ١١٩ .

(٣) أ. د جرنى : الحيثيون - ت : د محمد عبد القادر، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٧ ص١٢٠ .

(٤) قاموس الكتاب المقدس : مادة : بكر

(٥) وضع القانون الملك «بيلا- لاما» فى حدود عام ١٩٥٠ ق. م، وتقع مدينة أشنونة فى منطقة ديلى بالقرب من بغداد الجديدة، وعثر فيها على رقيمين دون عليهما قانون البلاد بالخط المسمارى ، وهذه القوانين تعود إلى قبيل زمن " لبت عشتار «خامس ملوك سلالة» «إيسن» ، قبل حمورابى بنحو قرن ونصف.. انظر : الذنون : سابق ص ٦٣.

(٦) السابق : ص ٦٩ .

الحالة السابعة: إمكانية إشراك آخرين فى امتيازات البكورية.

عندما قام يعقوب بتوزيع تركته قبل مماته فى مصر، قال لابنه يوسف: إن ابنيك أفرايم ومنسى اللذين أنجبتهما قبل مجيئى إليك هنا، هما لى يرثاننى كرأوبين وشمعون ، وأما أولادك الذين تنجبهم بعد ذلك فيكونون لك، وما يرثونه يكون تحت اسم أخويهم [1] .

وتصرف يعقوب هذا أثار عدة مشاكل ، البعض رأى فى إشراكه آخرين مع رأوبين كعقاب له لأنه عاشر محظية أبيه، وأنه لم يعد البكر[2]، وذلك اعتماداً على ما جاء بسفر أخبار الأيام الأول : «وكان رأوبين بكر إسرائيل ، ولكنه فقد امتيازات بكوريته التى وهبت لابنى يوسف بن إسرائيل، لأنه عاشر محظية أبيه فلم يحسب بكرًا، ومع أن يهوذا كان الأقوى بين إخوته ومن ذريته تحدى الملوك الذين حكموا، فإن البكورية من نصيب يوسف _ ٥ : ١» .

وهذا الرأى مع وجاهته ومع استناده على نص توراتى، فهو ليس محكمًا بالقدر الكافى، لأن رأوبين لم يفقد امتيازات البكورية، والواضح من نص الوصية أن يعقوب ضم إلى حقوق البكورية شمعون الشقيق التالى لرأوبين من زوجته الأولى ليئة، ولم يحرم رأوبين بكره من حقه، بمعنى أنه جعل من رأوبين بكرا يحصل على نصيبه المميز من الميراث، وكذلك شمعون، فالظاهر من النص أنه جعل لكل منهما نصيبًا مميزًا، ولما نزل مصر وقابل يوسف أحب أن

(١) تك ٤٨ : ٥ .

(٢) تشارلز ماكنتوش : شرح الكتاب مذكرات على سفر التكوين، مكتبة كنيسة الإخوة شبرا مصر ١٩٨٢ ص ٣٨٤ .

يعوضه عن سنوات الغربة، فجعل من ابنى يوسف أفريم ومنسى مثل رأوبين وشمعون، كل منهما يرث نصيبًا مميزًا من الميراث، بمعنى أنه جعلهم - ولديه و حفيديه - بكرا له، لكل منهم النصيب المميز من الميراث، وربما، وهى قراءة محتملة للنص، أن يعقوب قصد من وصيته هذه، أن يتم توزيع النصيب المميز - الإضافى - على ابنيه وحفيديه، إذا كان نصيب البكر الضعف، «اثنين من ميراث والده»، يرث كل منهما إما الضعف أو يرث مثل سائر أخوته، ويتم توزيع الحصة الإضافية، التى كان يحصل عليه البكر وحده، على الأربعة، وسواء كان يعقوب يقصد هذا أو ذاك، ففى الحالتين لم يحرم رأوبين من امتيازات البكورية، بل على حد قراءة القس وليم مارش، قد أخذ جزءًا منها لذنبه [1].

هذا من جهة التركة، أما من حيث السيادة فنص الوصية يشير إلى أنه اتخذ منهم بكرًا له، بمعنى أن السيادة تقع عليهم كمجلس عائلة، فبعد أن كانت تقع على فرد بعينه، أسندها يعقوب للأربعة، صحيح أن هذا يعد انتقاصًا من حقوق رأوبين، لكنه فى النهاية ليس حرمانًا أو استبعادًا كما فهم البعض .

ومع هذا فإن نظام الوصاية هذا كان متبعًا فى المجتمعات الشرقية، وأقرب مثال عليه وصية نكمنخ الذى أوصى بالتزامات وظيفته ككاهن أعظم للإلهة حاتحور فى يد جماعة من أسرته تحت إشراف ابنه الأكبر، وبذلك أصبح جميع أولاده يستفيدون من

---

(١) السنن القويم فى تفسيرأسفار العهد القديم، مجمع الكنائس فى الشرق الأدنى ببيروت ١٩٧٣ ، جـ ١ ص٢٧١ .

وظيفته، كما وزع بينهم القيام بالشعائر الدينية، هذا فى الوقت الذى كان فيه البكورى الوريث لهذه الامتيازات، كما نجده أيضاً عند توزيع تركته، قد أوقف ريعها على إقامة شعائر دينية، يوهب ثوابها له بعد وفاته، ووكل مهمة القيام بهذه الشعائر إلى أربعة من أولاده [١]. وفى عصر الأسرة الثانية عشرة كثيرًا ما كان الأب ينص فى وصيته على عدم تصرف الورثة فيما تركه لهم من ممتلكات بالبيع أو التجزئة كما لو كانت موقوفة ، وكان يذكر فى بعض عقود التوريث: أنها مورثة لشخص واحد وكان أحياناً يعين الشخص الثانى بأن ينص على أنه الحفيد[٢]، كما أن قانون حمورابى منح القضاء حق الفصل فى حالات رغبة الأب فى حرمان ابنه من الميراث، فتنص المادة (١٦٨) على هذا : إذا صمم رجل أن يطرد ابنه وقال للقضاة: سأطرد ابنى.. فعلى القضاة أن يدرسوا مشكلته، وإذ لم يقترف الابن خطأ جسيمًا عقوبته حرمان الابن من الميراث، فلا يسمح للأب أن يحرم ابنه من الإرث .

وتضمنت المادة (١٦٩) بعض الشروط: إذا كان (الابن) قد اقترف بحق والده إثماً، يستحق معه الحرمان، يصفح له فى المرة الأولى، أما إذا اقترف الخطأ للمرة الثانية ، فيستطيع الأب أن يحرمه من الميراث [٣].

---

(١) بترى: سابق ص ٢٢٣ .

(٢) السابق ص ٢٤٤ .

(٣) د . توفيق سليمان : سابق ص ٢١٤ .

وطبقاً لهذه الحالات والمواد فتصرف يعقوب كان طبيعيًا، فقد حرم رأوبين من الانفراد بالبكورية لمضاجعته محظيته، ولم يحرمه نهائياً من حقه فى البكورية، وبالفرض أن يعقوب كان - كما فسر البعض - قد حرم رأوبين من بكوريته، ومنحها ليوسف فى شخص إفرايم ومنسى، فلماذا لم يخصهما بها وحدهما؟، ولماذا لم يمنحهما وحدهما البركة، والثابت من نص بركته أنه قام بمباركة جميع أبنائه بالإضافة إلى حفيديه على خلاف سابقيه؟.

الحالة الثامنة: ميراث النساء: يتضح من النص الوحيد فى عصر الآباء، عدم توريث الفتاة، وربما كانت تورث تحت مسمى البكورى، ولا تحصل على شىء لحجب البكورى الميراث عنها فى حالة زواجها، وربما كان يقوم بكفالتها فترة ما قبل الزواج، عندما فكر يعقوب أن يترك دار خاله ويعود إلى شكيم ، استشار زوجتيه فقالتا له : «هل بقى لنا نصيب وميراث فى بيت أبينا؟، ألم يعاملنا كأجنبيتين لأنه باعنا وأكل ثمننا ؟» (١)، وما يرجح احتمال عدم توريثهن، استشارة موسى يهوه فى ميراثهن.

مواريث موسى:

هذا بالنسبة لعصر الأنبياء الآباء •• أما بالنسبة لعصر موسى بن عمران، الذى حل بعد أكثر من خمسمائة عام، الظاهر

---

(١) تك ٣١ : ١٤

•• الأنبياء الآباء: اصطلاحًا وضعناه للإشارة إلى إبراهيم وإسحاق ويعقوب ويوسف، النصوص والدراسات التوراتية والمسيحية تشير إليهم بـ : الآباء البطاركة.

من النصـوص أنـه أقـر القـاعـدة التشـريعيـة، وأضـاف لها بعـض المواد.

الأولى: تحديد نصيب البكورى «باثنين من كل ما يملكه [1] » والده.

الثانية: نسخ حق الأب فى منح أو منع امتيازات البكورية، والتأكيد على امتيازات البكورية عن الأب، وانتقالها إلى البكورى حتى لو كان ابن الزوجة المكروهة : «لا يحل له (الأب) أن يقدم ابن الزوجة الأثيرة ليجعله بكره فى الميراث على بكره ابن الزوجة المكروهة و عليه أن يعترف ببكورية ابن المكروهة [2].

الثالثة: توريث الفتاة: عندما أثار بنات صلفحاد من سبط منسى مشكلة توريث الفتاة، خاصة اللائى لم ينجب والدهن ذكورًا، أوصى موسى بنى إسرائيل فى حالة موت هذا الرجل بأن ينقلوا ملكه إلى ابنته[3]، وعندما احتج أعمامهن من انتقال تركة شقيقهن إلى أزواجهن بعد الزواج إلى سبط آخر، قيدت الشريعة ميراثهن واشترطت زواجهن من سبط آبائهن : «ليتزوجن من حسن فى أعينهن، بشرط أن يكون من سبط آبائهن، فلا يتحول ميراث بنى إسرائيل من سبط إلى آخر بل يظل كل سبط محتفظاً بميراث آبائه،

---

(١) التثنية ٢١ : ١٧ .

(٢) التثنية ٢١ : ١٦ .

(٣) العدد ٢٧ : ٨ .

فكل فتاة ورثت نصيباً من سبطها تتزوج واحدًا من أبناء عشيرة سبط أبيها، لكى يرث كل واحد من بنى إسرائيل نصيب آبائه فلا ينتقل ميراث سبط إلى سبط آخر، بل يظل كل سبط محتفظاً بميراثه [1]»، ومن لا يجد عريساً لابنته كان يزوجها من عبده ويدخل العبد بعد الزيجة فى السبط [2]، وإن كانت هذه الحالة قد تمت فيما بعد[3].

الرابعة: نصت الشريعة على نقل تركة غير المنجب إلى أشقائه ولأعمامه، فى حالة عدم وجود الأشقاء، وإلى أقرب الأقرباء فى حالة عدم وجود الأعمام : إن لم تكن له ابنة تعطون ملكه لأخوته، وإن لم يكن له إخوة فأعطوا ملكه لأعمامه، وإن لم يكن له أعمام، فاعطوا ملكه لأقرب أقربائه من عشيرته فيرثه، ولتكن هذه فريضة قضاء لبنى إسرائيل[4].

الخامسة: إقراره مبدأ تزويج أرملة البكورى من شقيقه ، وإنجابها ذكراً باسم شقيقه المتوفى ، ليفتح بيته وليرثه من بعد: إذا سكن أخوة معاء ومات أحدهم من غير أن ينجب

---

(١) العدد ٣٦ : ٦

(٢) د. سيد سليمان عليان: نساء العهد القديم، مكتبة مدبولى، القاهرة ١٩٩٥ ص٣٠ .

(٣) أخبار الأيام الأولى ٢ : ٢٤ .

(٤)العدد ٢٧: ٩ .

ابناً، فلا يجب أن يتزوج امرأته رجل من غير أفراد عائلة زوجها، بل ليتزوجها أخو زوجها ويعاشرها، وليقم نحوها بواجب أخي الزوج، ويحمل البكر الذى تنجبه اسم الأخ الميت [(١)].

يتضح من خلال هذه النصوص، أن العرف الذى اتبعه الآباء والتشريعات الموسوية، لم تحدد نصيب الفتاة من الميراث، فى حالة وجود البكورى، كما أنها حرمت الفتاة المتزوجة من سبط آخر غير سبط والدها من الميراث، ومنحته للفتاة التى لم تتزوج بعد، ومات والدها خلال عذريتها، ويتبين أيضاً أنها حرمت الزوجة من الدخول فى تركة زوجها المتوفى، سواء فى وجود البكورى أو فى وجود الفتيات، إذ أنها أغفلت تمامًا الأرملة، كما لم توضح النصوص موقع الفتاة المتزوجة من سبط آخر فى وجود بكورى أو عدم وجوده عند وفاة الأب، وتشير النصوص الخاصة بتوريث الفتاة والأعمام إلى نسخ الشريعة الموسوية، ما أتبع فى عصر الآباء من توريث الابن بالتبنى، أو أول عبد مولود فى بيت سيده، كما ألغت الوصية، وإن أخذوا بالوصية فيما بعد[(٢)]، كما يفهم ضمناً من نص بنات صلفحاد، نسخ الشريعة الموسوية لما سمح فى عصر الآباء من حق البكورى فى بيع بكوريته، وأغلب الظن أنها سمحت له ببيع نصيبه لأحد أشقائه أو لغيره من نفس سبط والده، وهو ما كان متبعاً فى التشريعات العراقية، حيث كانت الأرض ملكاً للدولة، يرث امتيازها

---

(١) تث ٢٥ : ٥ .

(٢) العبرانيين ٩ : ١٦ .

الأولاد والأحفاد إلى أن تنتهى السلالة، ومنع قانون حمورابى الابنة الكاهنة أو العاملة فى المعبد أو العانس من التصرف فى ميراثها لأنه ملك أشقائها ، ومنحتها حرية التنازل عنه لهم.

(المواد من ١٧٨ ـ ١٨١) (١)، وربما هذا هو ما تم الأخذ به مع الفتيات فى الديانة الموسوية (٢).

كما أغفلت أيضا النصوص، مشكلة التوءم، إذا نزلا معًا في وقت واحد، أو عدم وجود من يحدد أيهما نزل قبل الآخر، وإن كان الفقه التلمودى المتأخر**، أخذ بشهادة الأب والأم والقابلة فى تحديد أيهما البكورى، وهو ما نفرد لعرضه فى الحاشية .

الدلالة النفسية :

ربما تكون محاولتنا لقراءة التركة من خلال الدلالة اللغوية مبالغًا فيها، أو أنها قد تؤدى إلى ـ بعض أو كل ـ تأويل النصوص التوراتية، خاصة وأن الميراث كان فى أغلبه ماديًا، يخضع للعرف الاجتماعى السائد فى المنطقة، لكن عذرنا يعود إلى أن النصوص التوراتية يفهم ضمنًا منها أن الشق المادى من حق البكورية، وهو التركة، ليس فقط النصيب المميز مما يتركه والده، من مال أو عقارات أو مواشى أو غيرها مما يمثل الثروة، بل يفهم أيضًا أن

---

(١) د. توفيق سليمان: سابق : ص ٢١٦ .

(٢) سوزان السعيد يوسف : سابق ص ١٢٥ : ١٥١ .

** سعديا الفيومى: المواريث، تحقيق: حاى بن شمعون، مطبعة كوهين وروزونتال، القاهرة ١٩١٢ .

هذا البكر المفضل مع الثروة ـ الدلالة المادية من التركة ـ يرث السلطة- الدلالة النفسية ـ سلطة الأب ذاته داخل الأسرة على سائر الورثة، الأشقاء والأم والعبيد، وخارج الأسرة، أى يكون ممثل الأسرة أمام المجتمع المحيط، والمتحدث باسمها أمامه .

وهذا المفهوم ألمح إليه بعض الشراح عندما تناولوا سفر التكوين، خاصة عند تعريفهم لمصطلح البكورية، فالأب «ماير» مع أنه يجرده من إنسانيته، ويجعله صاحب النطفة المقدسة التي تنجب الرب، فهو يرى أن البكورية كانت تعطى صاحبه ـ أيا كان ـ الحق في أن يكون كاهن الأسرة أو العشيرة وكانت تتضمن هذا الامتياز، وهو أن يكون صاحبها مستودع الأسرار الإلهية وناقلها إلى البشرية وحلقة في سلسلة النسب ، يولد منه المسيا** في العالم، كان حق نوال القوة والاقتدار مع الله والناس، حق استلام مشعل رجاء المسيا حق القيام بين أبطال العالم في الحياة الروحية، حق القيام كأحد غرباء الأبدية، دون المطالبة بتملك وطأة قدم من الأرض، لأن السماء كلها مضمونة لهم، كانت كل هذه الحقوق (١)، ورأى القس إلياس مقار أن الإنسان البكر «سيد العائلة» وممثلها أمام الله وهو كاهنها الذي

** المسيا : إشارة إلى الممسوح بالزيت، وهى عادة شرقية قديمة، يقوم خلالها الكاهن أو الملك بمسح الذين يتولون وظيفة سياسية عليا أو دينية، خلال حفل تنصيبه، إذانًا ببدء تولية منصبه، وأخذ العبريون هذا التقليد وتم استخدامه في مسح الأنبياء والملوك والكهنة ، وكان الملك والنبى يسمى الممسوح، وأخذت منها تسمية المسيح .

(١) ف. ب. ماير : حياة يعقوب، ت: القمص مرقس داوود، مكتبة المحبة، القاهرة ١٩٨٩ ص ٢٤ .

يتقدم بالذبائح نيابة عنها أمام المذبح الإلهى، وهو الذي يصلى معها ولها ويباركها بما يأخذ من بركات الله، وهو الذي يرث فى المستقبل بعد أبيه نصيب اثنين مما يملك [1].

وبغض النظر عما طرحته هذه التعريفات، فهى تشير إلى الشق النفسي من التركة، وهو توريث البكر جميع وظائف الأب داخل الأسرة وخارجها، وإذا عدنا إلى الحضارات الشرقية القديمة، يتضح لنا الدور الذي كان يلعبه البكر مع الأسرة وأمام المجتمع، إذ سبق وأشرنا في المبحث الثانى إلى الخطاب الذى أرسله أحد المصريين إلى ابنه البكر، يوصيه فيه بالسهر على الحقل والماشية، ومراقبة العمال، وعدم إغضاب شقيقه الأصغر، والعمل على إرضائه، وأيضا الخطاب الذي أرسلته أرملة مصرية، تستنجد فيه بزوجها المتوفى أن يتدخل لكي يعطيها ابنهما حق شقيقته، وأن يترك منزله، وهو منزل الأب، مفتوحا أمامها ، كما سبق وفعل الأب مع والده .

وهذه الوقائع تلقى الضوء على الدور الذى كان الابن البكر يلعبه عند تسلمه التركة، وهذا الدور يفهم ضمنيًا من نصوص الآباء، فعندما كان إبراهيم منشغلاً بالزواج من سرارية - حسبما جاء في النصوص التوراتية [2] - كان إسحاق بكره يتولى مسئولية التركة، وهذا يتضح من حديث عبد إبراهيم مع رفقة زوجة إسحاق قبل

---

(١) رجال الكتاب المقدس ، دار الثقافة بالقاهرة ط ٢ سنة ١٩٩١ ، ج ١ صـ١٠٦

(٢) ٢٥ : ١ .

زواجهما : فانطلق العبد برفقة ومضى فى طريقه ، وكان إسحاق المقيم آنئذ في النقب قد عاد من طريق بئر « لحى رئي» فخرج عند المساء متأملا، وإذ تطلع حوله شاهد جمالاً مقبلة، ورفعت رفقة كذلك عينيها ورأت إسحاق فترجلت عن الجمل.. [1] ، ويتضح أيضا من واقعة احتيال يعقوب على والده وسرقة بركة شقيقه عيسو، بإيعاز من والدته، أن عيسو كان المسيطر على شئون الأسرة، ولأن رفقة كانت تحب يعقوب أكثر منه، دفعت يعقوب لسلبه بركته، لتكتمل معه سائر أدوات البكورية، كما يتضح من حياة يعقوب، خاصة الفترة التي كان يوسف فيها في مصر، أن رأوبين بكره ـ الذي دنس فراشه بالزنا مع سريته أم أشقائه ـ كان هو عمود البيت، وهو الذي يعتمد عليه يعقوب في تصريف أمور الأسرة، هذا على الرغم من أن يعقوب كان لا يثق به .

نخلص مما سبق أن التركة كان لها شقان ، أحدهما مادي : وهو الثروة ، والآخر نفسي : وهو السلطة ، وهذه التركة بشقيها يرثها البكر عند غياب والده بالسفر أو الوقوع فى الأسر، وفى حالة عجزه بالمرض أو الشيخوخة، وفى حالة الوفاة، وأن هذا البكر لابد أن يكون من الزوجة الرئيسية، سيدة البيت، وعلى وجه التحديد الزوجة العبرية.

---

(١) ٢٤ : ٦١.

الفصل الرابع

أدوات البكورى: ٢

البركـــة

تحدثنا خلال الفصل السابق عن الأداة الأولى من أدوات البكورية، التى يرثها مفتتح الرحم من والده، وهى التركة، بشقيها المادى والمعنوى، أو الثروة والوظيفة الأبوية، واتضح أن هذا الجزء من الأداة، يعطى للبكورى سلطة مادية، من خلال النصيب المميز من تركة والده، وسلطة معنوية تتمثل فى قيامه بوظيفة رب الأسرة داخل البيت، وممثلها أمام المجتمع أو القبيلة، وهذه الوظيفة تحديدا تمكنه من الإشراف، إن لم يكن السيطرة، على جميع ماتركه والده من ثروة منقولة أو موقوفة .

فى هذا المبحث نحاول قراءة الجزء الثانى من أدوات البكورية، وهو الجزء الروحى أو السحرى، والذى يتمثل فى البركة، وما أطلق عليه باللعنة، وذلك من حيث الدلالة اللغوية والنصية والاجتماعية، والوقوف على مصدرها وأنواعها وصياغتها ووظيفتها وآثارها، وما إذا كانت لهذه الصياغات قوة سحرية أم لا ؟، وهل يمتلك متلقيها هذه القوة بمجرد نطقها من فم المبارك أم أنه يكتسبها بعد ذلك؟،

وهل يحدث تأثيرها بمجرد التلفظ بها شفاهة أم لابد أن يصاحب النطق بها طقوس ما؟، وهل قوتها أو أثرها يكمن فى بنية الصياغة أو فى طريقة الإلقاء ؟، وهل هذه الصياغات بالفعل تعمل على تغيير حال إلى حال أخرى ؟، وهل يتضح هذا التغيير للعيان، أم يراه فقط الواقع عليه وناطق الصياغة ، أو أن كليهما يتوهم حدوث تغير فى الحال؟، وهل هذه الصيغ يتملكها فقط البكورى أو من الممكن تمليكها لآخرين؟، وهل الهدف منها القدرة على التغيير من حال إلى أخرى، أم أن لهذه الصيغ وظيفة ضمنية أقوى وأهم ؟

الدلالة القاموسية:

أخذت كلمة بركة فى اللغة العبرية من الفعل «برك» [1]، وهو بمعنى : ركع، ونخ، وجثا، وسجد، وخر [2]، وهى تأتى فى الدلالة القاموسية فى ثلاث كلمات، الاسم «براكاه»، والفعل «باريك»،والصفة» «باروك»، وتعنى: بركة، وبركات، وتهنئة، وتحية،

---

(١) انظر : مادة : بركة - benediction

The jewish encyclopedia,copyright 1971

Encyclopedia of religion and ethics

Encyclopedia britanica

Encyclopedia of catholic

-موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: د. عبد الوهاب المسيرى ، مادة : ادعية.

(٢) دافيد سجيف : قاموس عبرى عربى، دار شوكن للنشر بأورشليم وتل أبيب ١٩٩٠ جـ ١ ص٢١٢، وشلومو ألون : المعجم العملى: قاموس عبرى عربى، وعربى عبرى، دار ش. زاك للنشر بالقدس ١٩٩٥ ص٧٧ .

ودعاء، ودعوة، وثناء، وحمد، ومدح، ويمن، وسعد، وسعادة، وهبة، وهدية [1] .

وكما هو واضح من الدلالة القاموسية أنها اشتقت من الفعل سجد أو ركع، وأنها تشير إلى عدة دلالات، تجتمع فى مفهوم العطاء، العطاء على سبيل الهدية، بمعنى أكثر تحديدًا؛ هى مجرد هدية تمنح للمهدى إليه، ربما وهو ساجد أو راكع، فى حالة خضوع وخشوع تام، وهو ما يعطينا مشهدًا يجمع بين طرفين، أحدهما أعلى فى المستوى والدرجة من الآخر، مانح البركة ينطق بالصياغة المناسبة، ومتلقيها يستمع فى حالة خشوع راكعًا أو ساجدًا، الأول فى هيئة المقدس أو القريب لغير البشرى، والثانى إلى الإنسانى .

هذا المقدس أو المقرب لغير البشرى، كما هو قادر على النطق بصياغات الرضا والعطاء والمنح، يستطيع أيضًا النطق بصياغات عدم الرضا والرفض والسب واللعن، وهو الوجه الآخر للصياغات الشفاهية .

والكلمة جاءت فى اللغة العبرية فى عدة صور: «قالال» للتحقير، و«قاباب» للكره، و« زاعام» للغضب، و«آرار» للتذليل، و«آلاه» للتجديف، وجميع الدلالات تشترك فى معنى اللعن، واستنزال اللعنة؛ بالسب والشتيمة والدعاء على، وتكفير الملعون [2].

---

(١) السابق : جـ ١ص٢١٢ : ٢١٣، و معجم اللاهوت الكتابى: دار المشرق بيروت ١٩٩١، مادة : بركة ص ١٥٩ .

(٢) السابق : جـ ٢ صـ١٥٨٦، وشلومو الون : سابق ص٣٦٩، وموسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: سابق، مادة: أدعية (قرأ : «قالال» بـ «كيلالاه »)، وما أثبتناه قراءة : معجم اللاهوت الكتابى: سابق، مادة : لعنة ص٦٩١ .

ويتضح أيضًا من هذه المادة القاموسية، ما أشرنا له سابقًا، وهو المقدس والبشرى، والاختلاف الوحيد فى المشهدين، مشهد البركة ومشهد اللعنة، أن الأول معبأ بالحميمية والسكينة بين المقدس والبشرى، أما المشهد الثانى، مشهد اللعنة فيبدو صاخبًا مليئًا بالكره والغضب والعداوة، فى المشهد الأول كان المتلقى على مقربة من المانح، فى الثانى من الممكن أن يظهر كطيف أو خيالات عن بعد أو قد يكون غائبًا خارج المشهد، وقد يكون حاضرًا فى المواجهة، فى الأول كان المتلقى خاشعًا مستسلمًا للمقدس، فى الثانى يظهر متمردًا رافضًا على درجة ما من قوة وأفق المقدس .

على أية حال يتضح من الدلالة القاموسية أن هذه الأداة، سواء فى وجهها المانح المبارك أو وجهها اللاعن الكاره المكفر، تقوم على الصياغات الشفاهية والأداء المسرحى، ويتضح أيضا أنها تمنح المبروك أو وارث الصياغات صورة أقرب للمقدس، أو للذى يمتلك قدرات غير بشرية، للقابض على الغيب، وهذه القدرات ترفع بالطبع المبارك درجات من الرهبة فى قلب الإنسان .

والسؤال الآن: هل الدلالة القاموسية تختلف أو تتشابه مع الدلالة النصية؟، وإذا كانت تتطابق معها فما مصدر هذه الصيغ؟، وكيف تتم صناعتها؟، وما السبيل إلى انتقالها من هذا إلى ذاك؟.

الدلالة النصية :

تبين خلال البركة التى سرقها يعقوب من والده إسحاق، بعد انتحاله شخصية عيسو شقيقه، أن مانحها لا يملك استردادها، حتى لو منحت لغير مستحقها، و أن الممنوح أو المبارك لا يمكن لعنه . إذا تبين أنه يستحق اللعن، لأنه على ما يبدو أن هذه البركة تمنحه حصانة ضد اللعن، كما تمنحه قدرة استخدام هذه الصياغات.

والقارئ للنصوص التوراتية، خاصة سفر التكوين، يكتشف بسهولة وجود العديد من هذه الصياغات، منها ما ينطق بها الرب، ومنها ما يستخدمها الأب، ومنها ما يتلوها الكاهن، ويكتشف أيضا أن محررى التوراة نسبوا صناعة هذه الصيغ إلى الرب، و أنها تنقل منه إلى الإنسان أو إلى البكرى، وأنه من الممكن استخدامها مع الإنسان والحيوان والنبات والجماد، وأن تأثيرها فاعل ومباشر يظهر للعيان بمجرد النطق بها، ويكتشف أيضًا أن بعضها مستقبلى، تأثيرها مرهون بظروف أخرى، وهو ما سنحاول . بقدر الإمكان . توضيحه خلال السطور القادمة.

صانع الصيغ : (الرب)

يستهل محرر النصوص سفر الخليقة (التكوين) بتحديد مصدر وهوية صانع البركة واللعنة، وهو الرب.. ففى اليوم الرابع : خلق الله الحيوانات المائية الضخمة، والكائنات الحية التى اكتظت بها المياه كلاً حسب أجناسها، وأيضاً الطيور وفقاً لأنواعها، وبعد أن

رأى الله ذلك استحسنه، وباركها الله قائلاً: انتجى وتكاثرى وأملئى مياه البحار، ولتتكاثر الطيور فوق الأرض تك ١:٢٢.

وبعد أن خلق الرب فى اليوم السادس الإنسان على صورته، ذكراً وأنثى : «باركهم قائلاً لهم : اثمروا وتكاثروا واملئوا الأرض واخضعوها، وتسلطوا على سمك البحر، وعلى طير السماء وعلى كل حيوان يتحرك على الأرض. تك ١ : ٢٨ .

وعندما أتم الخليقة فى ستة أيام استراح : وبارك الله اليوم السابع وقدسه، لأنه استراح فيه من جميع أعمال الخلق. تك٢ : ٣ .

إذا كانت الصياغات السابقة تشير إلى عمومية البركة، لكونها شملت الأجناس والأنواع بشكل عام، ففى مباركة آدم ونوح التخصيص، عندما خلق الله آدم : «باركه وسماه آدم – تك ٥ : ٢»، وبعد أن عبر نوح وأولاده الطوفان : «بارك الله نوحاً وأبناءه قائلاً لهم : اثمروا وتكاثروا واملئوا الأرض، لتطغى الخشية منكم ورهبتكم على كل حيوانات الأرض وطيور السماء، وعلى كل ما يتحرك على الأرض، وعلى سمك البحر فإنها كلها قد أصبحت خاضعة لكم. تك ٩ : ١ .

أما بالنسبة للعنة، فتشير النصوص إلى أن أول لعنة كانت من الرب للحية والمرأة والأرض، وسببها أن الحية أغوت حواء للأكل من الشجرة المحرمة، وبعد أن علم الله قال للحية :

لأنك فعلت هذا، ملعونة أنت من بين جميع البهائم، ومن جميع وحوش البرية، على بطنك تسعين، ومن التراب تأكلين طوال حياتك

وأثيـر عـداوة دائمـة بينك وبين المرأة وكـذلك بين نسليكمـا، وهو يسحق رأسك وأنت تلدغين عقبه ـ تك ٣ : ١٤ .

ولعن المرأة بقوله : أكثر كثيرًا أوجاع مخاضك فتنجبين بالآلام أولادًا ، وإلى زوجك يكون اشتياقك وهو يسلط عليك ـ تك ٣ : ١٦ ، وقـال لآدم : لأنك أذعنت لقـول امـرأتك ، وأكلت من الشـجـرة التى نهيتك عنها، فالأرض ملعونة بسببك ، وبالمشقة تقتات منها طول عمـرك، شوكا وحسكا ، تنبت لك وأنت تـأكل عشب الحقل، بعـرق جبينك تكسب عيشك حـتى تعود إلى الأرض فمن تراب أخـذت، وإلى تراب تعود ـ تك ٣ : ١٧ .

وثانى لعنة إلهيـة كانت لقـايين (قـابيل) بعد أن سـفك دم أخيه هـابيل : «منذ الآن تحل عليك لعنة الأرض التى فـتـحت فـاهـهـا وابتلعت دم أخيك الذى سـفكتـه يدك، عندمـا تفلحـهـا لن تعطيك خيرها ، وتكون شريدًا وطريدًا فى الأرض ـ تك ٤ : ١١».

ولعنـة الأرض التى أشـارت إليها النصـوص السـابقـة تمثلت فى الطوفان الذى دهسها، حيث تشيـر النصوص إلى أن الرب ندم بعد ذلك، ووعـد نـوحًا بقـولـه : «لن ألعن الأرض مـرة أخـرى من أجل الإنسان، لأن أهواء قلب الإنسان شريرة منذ حداثته، ولن أقدم على إهلاك كل حى كـمـا فـعلت، وتكون كل أيام الأرض مـواسم زرع وحصاد وبرد وحر وشتاء ونهار وليل لن تبطل أبداً ـ تك ٨ : ٢١»

ويتضح مما سبق أن للكلمات قوة سـحرية، تغير حال إلى أخرى، عقب النطق بها مـباشرة، أوعبر الزمن، منها ما جاء فى صياغة

الثناء والزهو: وبارك الله اليوم السابع وقدسه، ومنها ما جاء في صياغة تكليف : اثمروا وتكاثروا ..

ومن الصياغات التى أدت إلى تغيير فورى فى الحال، لعنة الحية، إذ يتبين من النص، أنها كانت فى هيئة مغايرة لهيئتها التى هى عليها الآن، فقد جعلت منها الصياغة تزحف على بطنها، بعد أن كانت تسير على أربع أو اثنين: على بطنك تسعين، وجعلتها أيضا تأكل من التراب، هذا بخلاف العداوة التى ألقتها الصياغة بين المرأة والحية ونسليهما، ومن الصياغات التى رهنت بالمستقبل، لعنة المرأة، فقد جعلتها تتألم عند الولادة، وتشتاق لزوجها وهو متسلط عليها، وغضب الرب على آدم دفعه إلى تحديد سنى حياته: من تراب أخذت وإلى تراب تعود، وبين أخذه وعودته بالمشقة يقتات وبعرقه يكسب عيشه، وهو ما يعنى أنه كان قبل ذلك غير محدد المدة، أبدى وخالد، يحصل على قوته بسهولة ويسر، اضافة إلى أن جسده كان لا ينضح بالعرق عند ممارسته لجهد ما، هذا بخلاف أن هذه الصيغ كتبت على قايين (قابيل) التشرد والفرار الدائم.

صيغ الأب :

هذا بالنسبة للرب صانع ومانح صياغات البركة واللعنة، أما بالنسبة للإنسان، فقد كان نوح أول أب استخدم هذه الصيغ، بعد أن انتقلت إليه القدرة على استخدامها بمباركة الرب له، واستخدمها مع أولاده، كما أنه ورث بكره القدرة على استخدامه، وجعل من شقيقيه أحدهما عبداً له والآخر تابعاً له، عندما سكر

نوح : تعرى داخل خيمته فشاهد حام أبو الكنعانيين عرى أبيه، فخرج وأخبر أخويه اللذين كانا خارجين، فأخذ سام ويافث رداء ووضعاه على أكتافهما ومشيا القهقرى إلى داخل الخيمة، وسترا عرى أبيهما من غير أن يستديرا بوجهيهما نحوه فيبصرا عريه، وعندما أفاق نوح من سكره وعلم ما فعله ابنه الصغير قال: ليكن كنعان ملعوناً، وليكن عبد العبيد لأخوته، ثم قال: تبارك الله إله سام، وليكن كنعان عبداً له ، ليوسع الله ليافث فيسكن فى خيام سام، وليكن كنعان عبداً له ـ تك ٩ : ٢١ .

كانت هذه الصياغات قد نقلت إلى نوح من خلال الميثاق والعهد الذى أبرمه الرب مع نوح وأولاده.

ها أنا أبرم ميثاقى معكم ومع ذريتكم، ومع جميع المخلوقات الحية التى معكم، من طيور وبهائم ، ومن كل حيوانات الأرض التى خرجت معكم من الفلك، مع كل المخلوقات الحية على الأرض، أبرم ميثاقى معكم ، بأن لا يبيد الطوفان كل ذى جسد ثانية، وأن لا يكون هناك طوفان ليقضى على الحياة فى الأرض، وقال الرب : وهذه هى علامة الميثاق الأبدى الذى أقيمه بينى وبينكم وبين المخلوقات الحية التى معكم : أضع قوسى فى السحاب فتكون علامة ميثاق بينى وبين الأرض، فيكون عندما أخيم بالسحاب فوق الأرض، وتظهر القوس، أنى أذكر ميثاقى الذى بينى وبينكم وبين كل المخلوقات الحية من ذوات الجسد، فلا تتحول المياه إلى طوفان يبيد كل حياة، وتكون القوس فى السحاب فأبصرها وأذكر الميثاق الأبدى المبرم بينى وبين جميع المخلوقات الحية على الأرض، وقال

الله لنوح : هذه هي علامة الميثاق الذى أبرمته بينى وبين كل حى على الأرض. تك ٩ : ٩ .

وهذه الصياغات تنتقل من بكر إلى بكر ، فنوح بعد أن حصل عليها من الرب، منحها لابنه البكر سام، وانتقلت عبر سام هذا من بكر إلى آخر حتى وصلت إبراهيم بكر والده :عندما بلغ تارح . والد إبراهيم . السبعين من عمره أنجب أبرام (إبراهيم) وناحور وهاران . تك ١١ : ٢٦ .. وتارح والد إبراهيم كان بكر والده الذى كان هو الآخر البكر، حسب النسب التوراتى يرجع نسب إبراهيم بكر والده، إلى سام بكر نوح، عبر سلسلة من الأبكار : لما كان سام ابن مائة سنة ولد أرفكشاد (تك ١١ : ١٠) وعندما بلغ أرفكشاد خمسًا وثلاثين سنة من العمر ولد شالح (١١ : ١٢) وكان شالح فى الثلاثين من عمره عندما ولد عابر (١١ : ١٤) وكان عمر عابر أربعًا وثلاثين سنة عندما ولد فالج (١١ : ١٦) وكان عمر فالج ثلاثين سنة عندما ولد رعو (١١ : ١٨) وكان عمر رعو اثنتين وثلاثين سنة عندما ولد سروج (١١: ٢٠) وكان عمر سروج ثلاثين سنة عندما ولد ناحور(١١:٢٢) وكان عمر ناحور تسعًا وعشرين سنة عندما ولد تارح (١١ : ٢٤) وعندما بلغ تارح السبعين من عمره أنجب أبرام . «إبراهيم» (١١ : ٢٦) .

ولما وصلت الصياغات إلى إبراهيم، عبر هؤلاء الأبكار، بارك بها بكره إسحاق ضمناً مع توريثه إياه التركة . تك ٢٤ :٣٦ و٢٥ :٥، وكان إبراهيم قد نجح فى الحصول على تجديد وتأكيد لهذه الصيغ من

الرب : أنا الله القدير، سر أمامى وكن كاملاً، فاجعل عهدى بينى وبينك وأكثر نسلك جدًا، فسقط أبرام على وجهه، فخاطبه الله قائلاً: ها أنا أقطع لك عهدى فتكون أبًا لأمم كثيرة، ولن يدعى اسمك بعد الآن أبرام (ومعناه الأب الرفيع) بل يكون اسمك إبراهيم (ومعناه أب لجمهور) لأنى أجعلك أبا لجمهور من الأمم، وأصيرك مثمرًا جدًا، وأجعل أممًا تتفرع منك ، ويخرج من نسلك ملوك، وأقيم عهدى الأبدى بينى وبينك، وبين نسلك من بعدك جيلاً بعد جيل، فأكون إلها لك ولنسلك من بعدك، وأهبك أنت وذريتك من بعدك جميع أرض كنعان التى نزلت فيها غريبًا ملكًا أبديًا، وأكون لهم إلها، وقال الرب لإبراهيم: أما أنت فاحفظ عهدى، أنت وذريتك من بعدك مدى أجيالهم، هذا هو عهدى الذى بينى وبينك وبين ذريتك من بعدك الذى عليكم أن تحفظوه: أن يختتن كل ذكر منكم، تختتون رأس قلفة غرلتكم، فتكون علامة العهد الذى بينى وبينكم، تختتون على مدى أجيالكم، كل ذكر فيكم ابن ثمانية أيام سواء كان المولود من ذريتك أم كان ابنا لغريب مشترى بمالك ممن ليس من نسلك، فعلى كل وليد سواء ولد فى بيتك أم اشترى بمال أن يختتن، فيكون عهدى فى لحمكم عهدًا أبديًا، أما الذكر الأغلف الذى لم يختتن، يستأصل من بين قومه لأنه نكث عهدى. تك ١٧ : ١ .

وبعد أن ورث إسحاق هذه الصيغ من والده إبراهيم، قام بتوريثها إلى يعقوب، بمعنى آخر قام يعقوب بسرقتها منه، قبل أن يمنحها لبكره عيسو : ها إن رائحة ابنى كرائحة حقل باركه الرب،

فلينعم عليك الرب من ندى السماء ومن خيرات الأرض، فيكثر لك الحنطة والخمر، ولتخدمك الشعوب، وتسجد لك القبائل، ولتكن سيدا على إخوتك، وبنو أمك لك ينحنون، وليكن لاعنوك ملعونين، ومباركوك مباركين - تك ٢٧ : ٢٧، ويعقوب نفسه قبل وفاته بارك أولاده - تك ٤٨ : ١٥ .

الصيغ الكهنوتية :

وإذا كانت هذه النصوص تمثل البركة واللعنة الأبوية، والسابقة تمثل الإلهية، فهناك ما يشير إلى البركة الكهنوتية، عندما فك إبراهيم أسر لوط من براثن الملوك، جاءه ملك سدوم ومعه ملكى صادق مالك شاليم الذى كان كاهناً لله العلى وباركه قائلاً: لتكن عليك يا إبرام بركة الله العلى، ملك السماوات والأرض وتبارك الله العلى الذى دفع أعداءك إلى يدك - تك ١٧: ١٤ ، ومباركة يعقوب لفرعون (تك ٤٧ : ٧) .

ومن خلال هذه الصيغ يؤكد محررو التوراة أن إبراهيم استطاع بمجموعة من عبيده أن يهزم جيوش خمسة ملوك، وفك أسر ابن شقيقه لوط : «فلما سمع أبرام أن ابن أخيه قد أُسر، جرد ثلاث مائة وثمانية عشر من غلمانه المدربين المولودين فى بيته وتعقبهم حتى بلغ دان، وفى أثناء الليل قسم رجاله ، وهاجمهم وقهرهم، ثم طاردهم حتى حوبة شمالى دمشق، واسترد كل الغنائم، واسترجع ابن أخيه لوطا وأملاكه، والنساء أيضا وسواهم من الأسر - تك ١٤ ١٤، كما أنه بلسان عبده نال ثراء فاحشًا » وقد أغدق الرب على

مولاى بركات جمة فصار عظيمًا، وإذ أنعم عليه بغنم وبقر وفضة وذهب وعبيد وإماء وجمال وحمير ـ تك ٢٤ : ٣٥، وإسحاق بكره هو الآخر صار أكثر قوة وثراء من جميع سكان المدن التى يعيش على هامشها فى فلسطين : وزرع إسحاق فى تلك الأرض، فحصد فى تلك السنة مائة ضعف لأن الله باركه، وعظم شأن الرجل وتزايد غناه وأصبح واسع الثراء ، وصارت له ماشية وغنم وقطعان بقر وعبيد كثيرون، فحسده الفلسطينيون ـ تك ٢٦ : ١٢، لهذا أسرع إليه ملك جرار أبيمالك، وطلب منه الرحيل عن المنطقة: ارحل عنا لأنك أصبحت أكثر قوة منا ـ تك ٢٦ ك ١٦، وقبل أن يهرب يعقوب من منزل خاله لابان، عمد إلى حيلة سحرية لسرقة ماشيته: وأخذ يعقوب قضبانًا خضراء من أشجار اللبنى والدلب وقلمها بخطوط بيضاء كاشفا عما تحت القشرة من بياض، ونصب القضبان التى قلمها تجاه الغنم فى أجران مساقى الماء حيث ترد المواشى، فتتوحم عليها إذا ما أقبلت لتشرب، فكانت الغنم تتوحم عند القضبان، فتلد غنمًا مخططة ورقطاء وبلقاء، وفرز يعقوب الحملان، وجعل مقدمة المواشى فى مواجهة كل ما هو مخطط وأسود من غنم لابان، وأقام لنفسه قطعانًا على حدة بمعزل عن غنم لابان، فكان يعقوب كلما توحمت الغنم القوية ينصب القضبان أمام عيون المواشى فى الأجران لتتوحم بين القضبان، وحين تكون الغنم ضعيفة لا يضع القضبان أمامها، فصارت الضعيفة للابان والقوية ليعقوب، فاغتنى الرجل جدًا، وكثرت مواشيه وجواريه وعبيده وجماله وحميره ـ تك ٣٠ : ٣٧ .

أنواع الصيغ :

هذا من حيث مصدر الصيغ (الرب - الأب - الكاهن)، أما من حيث مضمون الصيغ نفسها، يتضح من خلال النصوص أنها جاءت فى عدة أشكال، منها بركة الشكر والحمد لله، كما جاء على لسان الكاهن ملكى صادق لإبراهيم : «تبارك الله العلى الذى دفع أعداءك إلى يديك - تك ١٤ : ٢٠» .

ومنها ما استخدم لتفسير الواقع وتعليله : «وزرع إسحاق فى تلك الأرض (مدينة جرار) فحصد فى تلك السنة مائة ضعف لأن الله باركه - تك ٢٦ : ١٢»، وفسر ملك جرار كثرة مياه الآبار لدى إسحاق بأنه : «مبارك من الرب _ تك ٢٦: ٢٩»، وأيضاً بارك الرب بيت المصرى وكل ما له من مقتنيات فى البيت والحقل بفضل يوسف - تك ٣٩ : ٥ .

ومن هذه الصيغ ما جاء على شكل تميمة لجلب الحظ والخير، ويمثلها الهدية التى قدمها يعقوب لشقيقه عيسو : «أطلب إليك أن تقبل بركتى التى جملتها إليك - تك : ١٠: ٣٣».

ومنها ما خصص لجلب الخير كما فعل يعقوب مع حفيديه من يوسف : إن الله الذى سلك أمامه أبوى إبراهيم وإسحاق، الله الذى رعانى منذ وجودى إلى هذا اليوم، الملاك الذى أنقذنى من كل شر، يبارك الغلامين، وليدع عليهما اسمى واسمى أبوى إبراهيم وإسحاق، وليكثروا كثيراً فى الأرض - تك ٤٨ : ١٥».

ومن هذه الصيغ ما جاء لتغيير واقع فى صيغة أمر، ويدخل تحت هذا النوع كل اللعنات الإلهية والأبوية مثل لعنة الحية «على بطنك تسعين ومن التراب تأكلين طوال حياتك»، وأيضاً لعنته المرأة «أكثر كثيرًا أوجاع مخاضك فتنجبين بالآلام أولادًا وإلى زوجك يكون اشتياقك وهو يسلط عليك» ، ومثل لعنة نوح لكنعان: «ليكن عبد العبيد لأخوته»...

« ... ومنها ما جاء فى صيغة التمنى والدعاء مثل «ليوسع الله ليافث».

و ما جاء فى صيغة الوعد ، مثل مباركة الرب لإبراهيم «اذهب إلى الأرض التى أريك، فأجعل منك أمة كبيرة وأباركك وأعظم اسمك وتكون بركة لكثيرين وأبارك مباركيك وألعن لاعنيك، وتتبارك فيك جميع أمم الأرض - تك ١٢ : ١ »

ومثل وعد الرب لإبراهيم بخصوص إسماعيل : «سأباركه حقاً، وأجعله مثمرًا وأكثر ذريته جدًا ـ تك ١٧ : ٢٠».

ووعده لإسحاق : «أقيم فى هذه الأرض فأكون معك وأباركك لأنى أعطى لك ولذريتك جميع هذه الأرض وفاءً بقسمى الذى أقسمت لإبراهيم أبيك ـ تك ٢٦ : ٣».

ومن الصيغ ما خصص لقراءة الطالع والمستقبل، ويمثلها مباركة يعقوب لأولاده :

«التفوا حولى لأنبئكم بما سيحدث لكم فى الأيام المقبلة، اجتمعوا واسمعوا يا أبناء يعقوب، واصغوا إلى إسرائيل أبيكم:

رأوبين أنت بكرى وقوتى وأول مظهر رجولتى، فضل الرفعة وفضل العر، لكنك فائر كالماء ، لذلك لن تظل متفوقًا، لأنك اضجعت فى فراش أبيك، صعدت على سريرى فدنسته، شمعون ولاوى أخوان سيوفهما آلات ظلم، فيا نفسى لا تدخلى فى مجلسهما، ويا روحى لا تنضمى إلى مجمعهما، لأنهما فى غضبهما اغتالا إنساناً، وفى عيثهما عرقباً ثوراً، ملعون سخطهما لأنه عنيف، وغضبهما لأنه ضار، افرقهما فى يعقوب، واشتتهما فى إسرائيل، يهوذا: إياك يحمد إخوتك وتكون يدك على عنق أعدائك، ويسجد لك بنو أبيك، يهوذا : شبل أسد، عن فريسة قمت يا ابنى، ثم جثا وربض كأسد أو كلبوة، فمن يجرؤ على إثارته؟، لا يزول صولجان الملك من يهوذا ولا مشترع من صلبه حتى يأتى شيلوه (من له الأمر) فتطيعه الشعوب، يربط بالكرمة جحشه، وبأفضل جفنة ابن أتانه، بالخمر يغسل لباسه وبدم العنب ثوبه، تكون عيناه أشد سوادًا من الخمر، وأسنانه أكثر بياضاً من اللبن، زبلون : يسكن عند سواحل البحر، ويصبح مقره مرفأ للسفن، وتمتد تخومه نحو صيدا، يساكر: حمار قوى رابض بين الحظائر، عندما يرى خصوبة مرتعه وبهجة أرضه تستكين كتفاه للأثقال، ويستعد للعمل الشاق، دان: يقضى لشعبه كأحد أسباط إسرائيل، وأن يكون ثعبانًا على جانب الطريق وأفعوانا على السبيل، يلسع عقبى الفرس فيهوى راكبه إلى الوراء، إننى انتظرت خلاصك يا رب. جاد: يقتحمه الغزاة، ولكنه يطارد فلولهم ويقحمهم، طعام أشير دسم، وأطايبه صالحة لموائد الملوك، نفتالى : غزالة طليقة يردد أقوالاً جميلة، يوسف : كرمة مثمرة إلى جوار

عين، تسلقت أغصانه الحائط ، يهاجمه الرماة بمرارة، ويطلقون سهامهم عليه بعداوة ولكن قوسه ظلت متينة، وتشددت سواعد يديه بفضل سواعد عزيز يعقوب، الراعى صخر إسرائيل، بفضل إله أبيك الذى يعينك، بفضل القدير الذى يباركك ببركات السماوات من فوق، وبركات الغمر من تحت، وبركات الثدى والرحم، إن بركات أبيك أعظم من بركات الجبال الدهرية، وأعظم من ذخائر التلال القديمة، فلتحل جميعًا على رأسك يا يوسف وعلى جبين الذى انفصل عن إخوته، بنيامين: ذئب ضار، يفترس ضحيته فى الصباح ويفرق الغنيمة فى المساء، هؤلاء جميعاً هم رؤساء الأسباط الاثنى عشر، وهذا ما خاطبهم به أبوهم وباركهم، كل واحد بالبركة المناسبة له ـ تك ٤٩ : ١».

ومن أهم هذه الصيغ السحرية، صيغة توريث النبوة للبكر، ويمثلها مباركة إسحاق التى سرقها يعقوب، من عيسو : «فلينعم عليك الرب من ندى السماء ومن خيرات الأرض، فيكثر لك الحنطة، والخمر، لتخدمك الشعوب، وتسجد لك القبائل، لتكن سيداً على أخوتك، بنو أمك لك ينحنون، وليكن لاعنوك ملعونين ومباركوك مباركين ـ تك ٢٧ : ٢٨».

الصيغ الموسوية :

ابتداء من عصر موسى قننت الصيغ السحرية وتم تحديدها وتقليص مستخدميها، فبعد أن كانت مطلقة قصرها موسى على الكاهن، حيث قام بضم البركة لمجمل وظائف الكهنة، وفى هذه

الوظيفة يقوم الكاهن بترتيل بعض العبارات التى تم تحديدها من قبل الرب :

« يباركك الرب ويحرسك، يضىء الرب بوجهه عليك ويرحمك، يلتفت الرب بوجهه إليك ويمنحك سلاماً ـ العدد ٦ : ٢٤» حيث يضع الكاهن يده على مرتاد خيمة الاجتماع وعلى الذبيحة ويقرأ التعويذة.

وحدد موسى اثنتى عشرة لعنة يتلوها سبط اللاويين بصوت مرتفع على الشعب أجمع لتحذيرهم وتخويفهم من الإقدام على ما حرمته الشريعة : ملعون الإنسان الذى يصنع تمثالاً منحوتاً أو مسبوكاً مما تصنعه يدا نحات، وتنصبه للعبادة فى الخفاء، لأن ذلك رجس لدى الرب، ويجيب جميع الشعب قائلين: آمين، ملعون كل من يستخف بأبيه وأمه، ويقول جميع الشعب:آمين، ملعون كل من يعبث بحدود أرض جار، ويقول جميع الشعب:آمين، ملعون كل من يضل الكفيف عن الطريق، ويقول جميع الشعب: آمين، ملعون كل من يجور على حق الغريب واليتيم والأرملة، ويقول جميع الشعب:آمين، ملعون كل من يضاجع امرأة أبيه، لأنه يكشف ستر أبيه، ويقول جميع الشعب: آمين، ملعون كل من يضاجع بهيمة ما، ويقول جميع الشعب: آمين، ملعون كل من يضاجع أخته ابنة أمه أو ابنة أبيه، ويقول جميع الشعب: آمين، ملعون من يضاجع حماته، فيقول جميع الشعب: آمين، ملعون كل من يقتل صاحبه فى الخفاء، فيقول جميع الشعب: آمين، ملعون كل من يأخذ رشوة ليقتل نفساً بريئة، فيقول

جميع الشعب: آمين، ملعون كل من لا يطيع كلمات هذه الشريعة ولا يعمل بها، فيقول جميع الشعب: آمين ـ التثنية ٢٧ : ١٥.

بالإضافة إلى هذا المشهد، أوصى موسى شعبه عند اجتيازهم نهر الأردن على مشارف الأرض الموعودة، قبل دخولهم: أن يقفوا على جبلين، أحدهما لقراءة البركة، والثانى للعنة: «إذا أتى بكم الرب إلى الأرض التى توشكون الدخول إليها لامتلاكها فأعلنوا البركة على جبل جرزيم ، واللعنة على جبل عيبال (التثنية ١١ : ٢٩)، وذلك لينصرهم الرب على الكنعانيين وليتمكنوا منها» : فترثونها وتقيمون فيها ـ تثنية ١١ : ٣١ .

ولم يترك للشعب فرصة اختيار الذين ينطقون باللعنة والبركة، بل حدد أسباطاً بعينها لهذه وتلك : « هذه هى الأسباط التى تقف على جبل جرزيم ليباركوا الشعب بعد عبوركم نهر الأردن : أسباط شمعون ولاوى ويهوذا ويساكر ويوسف وبنيامين، أما الأسباط التى تقف على جبل عيبال لإعلان اللعنة، فهى أسباط روابين وجاد وأشير وزبلون ودان ونفتالى ـ التثنية ٢٧ : ١٢».

وأكد لهم أنهم إذا أطاعوه حلت عليهم هذه البركة :

«تكونون مباركين فى المدينة ومباركين فى الحقول، كما تتبارك ذريتكم، وغلات أرضكم ونتاج بهائمكم وبقركم ونعاجكم، وتتبارك أيضاً فواكه سلالكم وخبز معاجنكم، وتكونون مباركين فى دخولكم وخروجكم، ويهزم الرب أمامكم أعداءكم القائمين عليكم، فيقبلون عليكم فى طريق واحدة، ولكنهم يولون الأدبار أمامكم فى سبعة

طرق، يأمر الرب لكم بالبركة، فتمتلئ خزائنكم، ويبارك كل ما تنتجه أيديكم وغلات أرضكم التى يهبها لكم، وإذا حفظتم وصاياه وسلكتم فى سبله فإنه يجعلكم لنفسه شعباً مقدساً، كما حلف لكم، فتدرك جميع شعوب الأرض أن اسم الرب قد حل عليكم، ويخافونكم، ويزيدكم الرب وفرة، فيكثر من أبنائكم ونتاج بهائمكم ومن غلات أرضكم، التى حلف لآبائكم أن يهبها لكم، ويفتح لكم الرب كنوز سمائه الصالحة، فيمطر على أرضكم فى مواسمها، ويبارك كل ما تنتجه أيديكم، فتقرضون أممًا كثيرة، وأنتم لا تقترضون ـ التثنية ٢٨ : ٣»، وهذه المباركات تحل عليهم إذا أطاعوا صوت الرب طاعة تامة، وحرصوا على تنفيذ جميع وصاياه، فى هذه الحالة فقط تنسكب عليهم جميع هذه البركات وتلازمهم كما قال لهم موسى (٢٨ : ١)

أما إذا عصوا صوت الرب ووصاياه وفرائضه، فإن كماً من اللعنات تحل عليهم ، هذه اللعنات حددها للأسباط؛ ليقرءوها على الشعب قبل دخولهم كنعان، فى الصياغة التالية:

تكونون ملعونين فى المدينة، وملعونين فى الحقول، وتكون سلالكم ومعاجنكم ملعونة، وتحل اللعنة بأبنائكم وغلات أرضكم ونتائج بقركم ونعاجكم ، وتكونون ملعونين فى ذهابكم وإيابكم، ويصب الرب عليكم اللعنة والفوضى والفشل فى كل ما تنتجه أيديكم، حتى تهلكوا وتفنوا سريعاً لسوء أفعالكم، إذ تركتمونى، ويتفشى بينكم الوباء حتى يبيدكم عن الأرض التى أنتم ماضون

إليها لامتلاكها، ويضربكم الرب بالسل والحمى والرعشة والالتهاب والجفاف واللفح والذبول، فتلازمكم حتى تفنوا وتصبح السماء التى فوقكم كالنحاس والأرض تحتكم كالحديد، ويحول الرب مطر أرضكم إلى غبار وعواصف ترابية تنهمر عليكم من السماء حتى تهلكوا، ويهزمكم الرب أمام أعدائكم، فتقبلون عليهم فى طريق واحد وتولون الأدبار أمامهم متفرقين فى سبعة طرق، وتصبحون عبرة لجميع ممالك الأرض، وتكون جثثكم طعاماً لجميع طيور السماء ووحوش الأرض ولا يطردها أحد، ويصيبكم الرب بداء قرحة مصر وبالبواسير والجرب والحكة، ولا تجدون لكل هذا علاجاً، ويبتليكم الرب بالجنون والعمى وارتباك الفكر، فتتحسسون طرقكم فى الظهر، كما يتحسس الأعمى طريقه فى الظلام، وتبوء طرقكم بالاختناق، ولا تكونون إلا مظلومين مغصوبين كل الأيام، وليس من منقذ، يخطب أحدكم امرأة، ولكن آخر يتزوجها ويضاجعها، تبنى بيتاً ولا تسكن فيه، وتغرس كرماً ولا تجنيه، يذبح ثورك أمام عينيك ولا تأكل منه، ويغتصب حمارك على مرأى منك ولا يرد إليك، ويستولى أعداؤك على ماشيتك وليس من منقذ، يساق أولادك وبناتك إلى أمة أخرى وعيناك ترقبانهم طوال النهار حتى تكلا، وما فى يدك حيلة، محصول أرضك وثمر تعبك يأكله شعب غريب عنك ولا تكون سوى مظلوم مسحوق دائماً، ويصيبك الجنون من هول ما ترى، ويبتليك الرب بقروح خبيثة تغطى الركبتين والساقين، حتى لا تجد لهما شفاء من قمة الرأس إلى أخمص القدم، ينفيكم الرب أنتم وملككم الذى تختارونه إلى أمة لا

تعرفونها أنتم، ولا آباؤكم، حيث تعبدون هناك آلهة أخرى من خشب وحجر، وتصبحون مثار دهشة وسخرية وعبرة فى نظر جميع الشعوب التى ينفيكم الرب إليهم، تبذرون كثيرًا من البذور فى الحقول ولا تحصدون إلا القليل؛ لأن الجراد يلتهمه، تكدحون فى غرس كروم ومن خمرها لا تشربون، ومن ثمرها لا تجنون؛ لأن الدود ينخرها، تكتظ أراضيكم بأشجار الزيتون، ولكن من زيتها لا تدهنون؛ لأن زيتكم ينثر فى الأرض قبل نضجه، تنجبون بنين وبنات ولا يكونون لكم لأنهم يسبون، تلتهم أسراب الجراد أشجاركم وغلات أرضكم، يعظم شأن الغرباء المقيمين بينكم ويتفاقم انحطاط شأنكم ، هم يقرضونكم وأنتم لا تقرضونهم وهم يكونون رأساً وأنتم تكونون ذنباً، وتحل بكم هذه اللعنات وتلازمكم حتى تهلكوا؛ لأنكم لم تطيعوا صوت الرب إلهكم لتحفظوا وصاياه وفرائضه التى أمركم بها، فتكون فيكم وفى ذريتكم عبرة ونذيرًا إلى الأبد، فإنكم تصبحون عبيداً لأعدائكم الذين يرسلهم الرب عليكم فى أحوال الجوع والعطش والعرى والفاقة، ويضع نير حديد على أعناقكم حتى يهلككم، ويجلب الرب عليكم من بعيد من أقصى الأرض أمة لا تفهمون لغتها فتنقض عليكم كالنسر، أمة يثير منظرها الرعب لا تهاب الشيخ ولا ترأف بالطفل، فتستولى على نتاج بهائمكم وتلتهم أرضكم حتى تفنوا ولا تبقى لكم قمحاً ولا زيتاً ولانتاج بقركم ونعاجكم حتى تهلككم وتحاصركم فى جميع مدنكم، حتى تتهدم أسواركم الشامخة الحصينة التى وثقتم بمناعتها فى كل مدنكم ، فتحاصركم فى جميع مدنكم فى كل أرضكم التى يهبها الرب إلهكم

لكم ،فتأكلوا فى أثناء الحصار والضيقة التى يضايقكم بها عدوكم ثمار بطونكم لحكم أبنائكم وبناتكم الذين رزقكم بها الرب إلهكم، فيسقوا قلب أكثركم رقة ورأفة على أخيه وامرأته التى فى حضنه وسائر أبنائه الحياء، فلا يعطى أحدهم من لحم أبنائه الذى يأكله؛ لأنه لم يبق لديه شىء سواه فى الحصار والضيقة التى يضايقكم بها عدوكم فى جميع مدنكم، وكذلك فإن أكثر النساء رقة ورأفة والتى لنعومتها وترفهها لا تجرؤ على لمس الأرض بباطن قدمها، تبخل على زوجها رجل حضنها وعلى ابنها وابنتها بمشيمتها الساقطة منها وبأولادها الذين تلدهم؛ لأنها تنوى أن تأكلهم سرا فى أثناء الحصار فى الضيقة التى يضايقكم بها عدوكم فى كل مدنكم فإن لم تحرصوا على العمل بجميع كلمات هذه الشريعة المكتوبة فى هذا الكتاب لتهابوا اسم الرب إلهكم الجليل فإن الرب يجعل الضربات النازلة بكم وبذريتكم ضربات مخيفة وكوارث رهيبة دائمة وأمراضاً خبيثة مزمنة، ويرسل عليكم كل أمراض مصر التى فزعتم منها فتلازمكم، ويسلط الرب عليكم أيضاً كل داء وكل بلية لم ترد فى كتاب الشريعة هذا حتى تهلكوا فتصيرون قلة بعد أن كنتم فى كثرة نجوم السماء؛ لأنكم لم تسمعوا أصوات الرب إلهكم وكما سر الرب بكم فأحسن إليكم وكثركم، فإنه سيسر بأنه يفنيكم وتهلكون فتنقرضوا من الأرض التى أنتم ماضون إليها لامتلاكها، ويشتتكم الرب بين جميع الأمم من أقصى الأرض إلى أقصاها فتعبدون هناك آلهة أخرى من خشب أو حجر لم تعرفوها أنتم ولا آباؤكم، ولا تجدون بين تلك الأمم اطمئناناً ولا مقرًا لقدم، بل

يعطيكم الرب قلبًا هلعًا وعيوناً أوهنها الترقب ونفوساً يائسة وتعيشون حياة مفعمة دائماً بالتوتر مليئة بالرعب ليلاً ونهاراً وتقولون فى الصباح ليته المساء وفى المساء ليته الصباح، من فرط ارتعاب قلوبكم وما تشهده عيونكم من هول ويردكم الرب إلى ديار مصر فى سفن فى طريق وعدكم ألا تعودوا ترونها، فتباعون هناك لأعدائكم عبيداً وإماء وليس من يشترى. التثنية ٢٨ : ١٦».

«ولم تقف الصيغ السحرية على السابقة، بل أقر موسى أيضاً مباركة الشكر، فبارك الشعب بعد أن انتهى من بناء خيمة الاجتماع (تك ٣٩ : ٤٣)، كما بارك هارون الشعب بعد تدشينهم أول ذبيحة على المحرقة هو وموسى (اللاويين ٩ : ٢٢) و (مزمور ١٠٣ :١ و١٣٤ : ١) .

وأقر موسى أيضًا صيغة النبوة وقراءة الواقع والتمنى، عند مباركته لأسباط بنى إسرائيل قبل وفاته :

«ليحيا روابين ولا يمت وليتكاثر رجاله، وقال عن يهوذا : اسمع يا رب دعاء يهوذا، وأجمع شمله فإنه بيديه يدافع عن قضيته فأعنه على أعدائه، وقال عن سبط لاوى: لقد أعطيتك تميمتك وأوريمك لرجلك الذى جربته وامتحنته فى مسه وخاصمته عند ماء مريبه، الذى قال عن والديه: لم أرهما ، وبأخوته لم يعترف وأنكر أبناؤه بل أطاعوا وصياك وصانوا عهدك هم يعلمون يعقوب أحكامك وبنى إسرائيل شريعتك، يحرقون بخورًا أمام أنفك وقرابين على مذبحك، بارك يا رب مهارتهم واغتبط بعمل أيديهم حطم متون مقاويهم

ومبغضيهم فلا تقوم لهم قائمة، وقال عن سبط بنيامين أنه حبيب الرب، يسكن لديه أمناء يصونه طول النهار وبين منكبيه يسكن مطمئناً ... وقال عن سبط يوسف ، ليبارك الرب أرضه بنفائس قطرات ندى السماء ويلجج المياه الفائرة من تحت، وبخير ما تنميه الشمس وما تنقله الأقمار، وبأنفس ما تدخره الجبال القديمة، وبأثمن كنوز التلال الأبدية، وبأفضل خيرات الأرض وبركاتها وبرضى الساكن فى العليقة، فلتسكب هذه جميعها على رأس يوسف على جبين الأمير بين إخوته، فهو فى جلاله كالثور البكر وقرناه مثل قرنى ثور وحشى بهما الشعوب حتى أولئك المقيمون فى أقاصى الأرض، لتكن هكذا عشرات ألوف افرايم لتكن هكذا عشرات ألوف منسى، وقال عن سبطى زبولون ويساكر أفرح يا زبولون بخروجك وأنت يا يساكر بخيامك فأنهما يدعوان الشعب إلى الجبل يقربان محرقات البر؛ لأنهما يشبعان من خيرات البحار ومن الذخائر الكامنة فى الرمل ... وقال عن سبط جاد: لتحل البركة على من وسع تخرم جاد، حيث يربض جاد هناك كالأسد، يفترس الذراع مع قمة الرأس ، اختار الأرض لنفسه، واحتفظ لنفسه بنصيب القائد، وعندما اجتمع شيوخ الشعب أجرى حق الرب العادل وأحكامه مع إسرائيل ... قال عن سبط دان : دان مثل شبل أسد ينقض من باشات، وقال عن سبط نفتالى، أشبع يانفتالى رضا، وامتلئ بركة من الرب وأملك ساحل البحر الأبيض المتوسط والنقب ... وقال عن سبط أشير: أشير الابن الأكبر مباركة فليكن صاحب خطوة عند إخوته وليغمس فى الزيت قدميه، ولتكن مزاليج

أبوابك من حديد ونحاس، ولتعادل قوتك امتداد أيامك ـ التثنية ٣٣ : ١.

يتضح مما سبق عدم اختلاف الصيغ كثيرًا، من حيث النوع والمضمون والوظيفة، عن الصيغ التى استخدمت فى عصر الآباء (إبراهيم وإسحاق ويعقوب ويوسف)، اللهم سوى تقييد مستخدميها، وقصرها على النبى والكاهن، وفيما بعد الملك، وفى حالة الحرب يتلو بعض الأسباط البركة والبعض الأخر اللعنة، وكما هو واضح من النصوص، فإن قوة هذه الصيغ، تكمن فى دلالة الكلمات، وأثرها فى النطق بها، وهو ما كان يعطى لمالكها رهبة وقداسة فى قلوب العامة. ويدفعهم إلى الاعتقاد بأنه يمتلك الغيب أو قريبا منه، فيستسلمون له ويطيعون أمره، ويلجئون إليه عند عجزهم فى مواجهة إشكاليات الواقع .

وكما هو واضح فى نصوص التوراة، فإن موسى قد تعلم هذه الصيغ، مثل سابقيه ، من الرب مباشرة، عندما طلب منه الذهاب لبنى إسرائيل وإلى فرعون، رفض موسى وقال له لن يصدقونى، ولكى يطمئنه الرب ويشجعه، أخذ فى تعليمه الحيل السحرية :

ـ ما تلك التى بيدك ؟

– عصا

– ألقها على الأرض

فألقاها فإذا هى حية، فهرب منها موسى، فقال له الرب: مد يدك واقبض عليها من ذيلها، فمد يده وقبض عليها، فارتدت عصا فى يده ـ خروج ٤ : ٢ .

ولكى يشجعه أكثر قال له: أدخل يدك فى عبك؟.. فأدخل يده فى عبه، وعندما أخرجها إذ هى برصاء كالثلج، وأمره الرب : رد يدك إلى عبك ثانية، فرد يده إلى عبه ثانية ثم أخرجها من عبه، وإذا بها قد عادت مثل باقى جسده ـ خروج ٤ : ٦ .

ولكى يطمئنه أكثر علمه حيلة ثالثة، قال له: اغرف من ماء النهر واسكبه على الأرض الجافة، فيتحول الماء الذى غرفته من النهر إلى دم فوق الأرض ـ خروج ٤ : ٩ .

وبعدأن تعلم موسى هذه الحيل من الرب، قام الرب بتسليحه بعصا سحرية، وذلك لكى يعطيه ثقة فى نفسه، وأيضًا لكى يصنع بها حيلاً تدب الرعب فى قلوب بنى إسرائيل فيطيعوه، ويواجه بها سحرة الفرعون : خذ بيدك هذه العصا لتصنع بها المعجزات ـ خروج ٤ : ١٧ .

وقبل أن يتركه نبه عليه أن يقوم بكل ما تعلمه أمام الفرعون لكى يرهبه: تذكر أن تجرى أمام فرعون جميع العجائب التى منحتك القوة على إجرائها ـ خروج ٤ : ٢١ .

وغير خفى ما قام به موسى من وقائع سحرية هو وشقيقه الأكبر هارون، نذكر بعضها على سبيل المثال: خذ عصاك وألقها أمام فرعون فتتحول إلى حية (خروج ٧ : ٩) وهذه العصا التى

قلبت إلى حية أكلت كل عصا سحرة فرعون، أو على حد صياغة محرري التوراة: ابتلعت عصيهم - خروج ٧ : ١٢، هذا بخلاف الضربات العشر التى ضربوا بها المصريين، وهذه الضربات فى مجملها ألاعيب سحرية، استغل فيها كل المهارات السحرية لإخراج بنى إسرائيل من مصر، وتقويض نظام البكورية المصرى لتدشينه بين بنى إسرائيل : رفع هارون العصا وضرب ماء النهر على مشهد من فرعون وحاشيته، فتحول كل ماء النهر إلى دم، ومات كل سمكه وأنتن النهر، وكان دم فى كل أرجاء مصر (خروج ٧ : ٢٠) فبسط هارون يده على مياه مصر، فأقبلت الضفادع وغطت أرض مصر، وكذلك فعل السحرة بسحرهم فأصعدوا ضفادع على أرض مصر (٨ : ٦) .. بسط هارون يده بعصاه وضرب تراب الأرض، فانتشر البعوض على الناس والبهائم، فصار كل تراب الأرض بعوضا فى جميع أنحاء مصر (٨ : ١٧).. فقد غزت أسراب عظيمة من الذباب بيت فرعون وبيوت حاشيته، وكل أرض مصر فأصاب الذباب الأرض بالخراب (٨ : ٢٤)، وهكذا حتى أن وصل رب بنى إسرائيل مراده ومبتغاه، وهو تقويض نظام البكورية المصرى، لكى يعطيه لبنى إسرائيل : سأجتاز حوالى نصف الليل فى وسط مصر، فيموت كل بكر بها، من بكر فرعون المتربع على العرش إلى بكر الأمة التى وراء الرحى، وكذلك بكر كل بهيمة، فيعلو صراخ عظيم فى كل أرض مصر، لم يشهد مثله من قبل ولا يكون مثله أيضًا، أما بين الإسرائيليين فلن ينبح كلب على أى إنسان أو حيوان، وعندئذ تعلمون أن الرب يميز بين المصريين وإسرائيل (٤ : ١١).. ففى هذه

الليلة اجتاز فى بلاد مصر - كل المدن يقصد والقرى وليس العاصمة فقط - واقتل كل بكر فيها من الناس والبهائم وأجرى قضاءً على كل آلهة المصريين، أنا هو الرب، أما أنتم فإن الدم الذى على بيوتكم المقيمين فيها يكون العلامة التى تميزكم، فأرى الدم وأعبر عنكم، فلا تنزل بكم بلية الهلاك حين ابتلى بها أرض مصر (١٢ : ١٢).. ثم استدعى موسى كل شيوخ بنى إسرائيل وقال لهم : اذهبوا وانتقوا حملانا بحسب عائلتكم واذبحوا حمل الفصح، ثم خذوا باقة زوفا واغمسوها فى الدم الذى تصفى فى الإناء واطلوا به عتبة الباب العليا والقائمين، ولا يخرج أحد منكم من بيته حتى الصباح؛ لأن الرب سيجتاز ليلاً ليهلك المصريين، فحين يرى الدم على العتبة العليا والقائمين يعبرعن الباب ولا يدع المهلك يدخل بيوتكم ليضربكم (١٢ : ٢١)..وفى منتصف الليل أهلك الرب كل بكر فى بلاد مصر، من بكر فرعون المتربع على العرش إلى بكر الحبيس فى السجن، وأبكار البهائم جميعًا أيضًا، فاستيقظ فرعون وحاشيته وجميع المصريين وإذا عويل عظيم فى أرض مصر؛ لأنه لم يوجد بيت ليس فيه ميت (خروج ١٢ : ٢٩).

والسؤال الذى يجب ألا نغفله وسط كل هذه النصوص، إذا كانت هذه الصيغ يتم توريثها إلى الابن البكر أو صاحب البكورية، لماذا أخذها موسى وهو ليس البكر بل هارون شقيقه ؟، محررو التوراة لم يتركوا لنا مجالاً للتعجب، أو النشوة بعد القبض على إحدى سلبيات الحدوتة، لأنهم فى بداية سفر الخروج، قاموا بتأهيل موسى لهذه البكورية، إذ جعلوا من جميع الشعب الابن البكر للرب :

قل لفرعون : هذا ما يقوله الرب : إسرائيل، هو ابنى البكر، قلت لك اطلق ابنى ليعبدنى، ولكنك رفضت إطلاقه، لذلك سأهلك ابنك البكر ـ خروج ٤ : ٢٢ .

الفصل الخامس

الصيغ الشرقية

عرفت المجتمعات الشرقية ما سمى بالبركة واللعنة، قبل تدشينها بالنصوص التوراتية بآلاف السنوات، حيث تشير الحفريات إلى أن فقهاء المعابد كرسوا للمصطلحين فى اللاهوت ونظام الحكم وفى المعابد، فكانت البركة واللعنة أداتين فى يد الإله يبارك بها الإله الأقل قوة، أو الإله الابن فى حالة رضاه عنه، أو يلعنه عندما يغضب عليه، كما كان الإله يمنح الحاكم بركته والقدرة على استخدام البركة واللعنة، على اعتبار أنه (اللوجال) وكيله فى الأرض كما كان فى بلاد الرافدين، أو المعين بأمره كما فى كنعان والحضارة الفينيقية بشكل عام، أو كابنه أو نسوته كما ساد فى مصر، وهذا اللوجال أو الناسوت أو المختار، كثيراً ما بارك الأمراء والكهان وكبار الموظفين وحكام المدن والبلاد التى تتبع مملكته جغرافياً وسياسياً، وكثيراً أيضاً ما لعن معارضيه وأعداءه، ولصعوبة توصيل هذه البركة أو اللعنة لمحتاجيها من رعاياه، خصت قدرة المنح واللعن بالكهنة فى المعابد، هؤلاء الكهان تفننوا بدورهم

فى ابتكار الصيغ المناسبة لكل حالة، حتى أن الملك ذاته كان يستعين بهم للعن أعدائه قبل أن يخوض معركته، أو مباركة خطواته وسياسته، ولما كان الأب هو كاهن الأسرة سعى الأبناء للحصول على بركة الأب وتجنب لعنته، ومع انتشار هذه الصيغ وإدراك الناس لأهميتها، قام الكهنة بابتكار الأشكال والأنواع التى يستعين بها عامة الناس فى بيوتهم دون الذهاب إلى المعبد إلا فى الضرورة القصوى، وحرصت الأسرعلى جلب بعض هذه الصيغ ليحتفظوا بها فى بيوتهم، أو يعلقوها فى أعناقهم وأعناق أولادهم لجلب البركة، وحمايتهم من الكائنات والأفعال الشريرة .

وبشكل عام كانت البركة عبارة عن مجموعة أوراد تختلف صياغتها من حالة لأخرى حسب نوعية الحالة ذاتها، وكثيراً ما كان الكهنة والناس يتغنون بهذه الأوراد للإلهة، مع إضافة بعض الكلمات وبعض العبارات [١]، أما اللعنة فكانت عبارة عن أدعية يكتبها الكهنة السحرة بالمداد الأحمر على قدور من الفخار، وتماثيل صغيرة من الصلصال، صبوا اللعنة فيها على الأعداء، يقومون بجمعها وتلاوة بعض القراءات السحرية المعينة عليها، بعد ذلك يقومون بتحطيمها، أملاً فى أن يؤدى تحطيمها إلى تحطيم المذكورين، وقد تم نشر مجموعتين من هذه الصيغ، المجموعة الأولى من الأوانى بمتحف برلين ونشرها كورت زيته عام ١٩٢٦، والثانية من التماثيل الصغيرة فى متحف بروكسل، ونشرها بوزنر

---

(١) أرمان : سابق ص ٤١٢ .

عـام ١٩٤٠ [١]، وتُقام فلسفة هذه الأسـحار على قانون التشـابه، إذ بموجب هذا القانون يسبب كسرًا أو حرقًا أو إتلاف عين أو ذراع أو أى عـضـو فى الدمـيـة، يماثله نـفـس الـضـرر فى الشـخـص الذى تمثله، وهـذه الصيغ سـواء الخيـرة أو الشـريرة عـرفـتـهـا كل شـعـوب المنطقة .

ففى اللاهوت الكنعانى، نكتشف أن الإله «إيل»، بعد أن اعتدى عليه الإله «بعل» وخصاه، انتحب إيل واستغاث بأعوانه، لم يستجب لاسـتغـاثته سـوى الإله «يام Yam» الذى أعطاه شـراباً قوياً، ومقابل هذا باركه إيل ومنحه اسمًا جديدًا، وأعلنه خليفة له، كما لعن بعل، وحرم عليه أن يشيد قصرا [٢].

سلموا لى بعل وأنصاره

ابن داجون حتى أرث ذهبه

فأجابه إيل، أجابه أبوه، الثور قائلاً :

ليكن بعل عبدًا لك إلى الأبد[٣].

ابن داجون ليكن أسيرك [٤]

---

(١) وليم ف. أولبرايت : آثار فلسطين، ت: د . زكى إسكندر و د. محمد عبد القادر محمود، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة ١٩٧١ صـ٨٥ .

(٢) ميـرسيـا إلياد: تاريخ الأفكار والمعتقدات الدينية، ت: عبد الهادى عباس، دار دمشق سورية ١٩٨٧، جـ ١ ص١٩٢.

(٣) لاحظ تطابقها مع لعنة نوح لابنه .

(٤) فراس سواح: مغامرة العقل الأولى، دار علاء الدين دمشق ١٩٩٣ ص١١٥.

عندما زاد صخب الآلهة الشابة، فى الإسطورة الأكدية، اشتكى الإله «أبسو» إلى والداتهم ، الربة «تيامات» Tiamat، بأن سلوكهم غير محتمل - وحسب رواية أسطورة جلجامش - لعن أبسو هؤلاء الآلهة، وقرر إبادتهم لوضع حد لضجيجهم، لم يعجب «أيا» إله الحكمة، ما قرره «أبسو» ، فرسم دائرة سحرية حول الآلهة الشباب لتقيها وتحرسها من لعنة أبسو، وألف رقية سحرية أخرى، نوم بها الإله «أبسو» ثم قيده وقتله [1]، وتروى الأسطورة؛ أسطورة الخلق، إن الآلهة اختارت من بينها الإله «مردوك» ليقود الحرب ضد «تيامات» وأولادها :

ومضى الرب قدمًا وتابع سيره

ويمم وجهه نحو تيامات الهائجه

وكان يحمل بين شفتيه تميمة من صلصال أحمر

ويقبض فى يده على نبات لإفساد السم

وصاحت تيامات عاليا فى غضب

وارتعشت رجلاها حتى جذورها

وتلت تعويذة وظلت تنفث سحرها [2] .

وفى أسطورة جلجامش ، لما لمحت الربة إشتار (عشتار) جلجامش شغفت به وابتغته زوجاً لها، منته بأمانى كثيرة ووعدته بملك عريض، استهان بعرضها وذكرها بغراميتها المتقلبة، وكيف

---

(١) إلياد : سابق صـ ٩٤ .

(٢) سبتينو موسكاتى : سابق صـ٦٠.

أحبت «دوموزى» فى صباها ثم غدرت به، وكيف أحبت طائراً ثم كسرت له جناحه ... تغيرت عشتار وانقلب حبها إلى حقد شديد، وشكته إلى والديها (أنو وأنتوم)، ودعت أباها إلى أن يرسل عليه فحل السماء ليقتله، تعاون جلجامش وصديقه «أنكيدو» وذبحا فحل السماء، وقدما قلبه قرباناً للإله «شمش» ، فجن جنون إشتار، وصبت اللعنات على مدينة أوروك، وحرضت الكاهنات على أهلها، فتصدى لها أنكيدو وتوعدها بأن يفعل بها مثل ما فعل بالفحل، وبالفعل انتصر عليها هو وجلجامش، فانقلب حال السماء، وانقسم الآلهة، إلى فريقين الأول : آنو وانليل وقررا الفتك بأنكيدو، والثانى: الإله شمشْ وأصرعلى حماية أنكيدو وجلجامش [١]، وفى اللاهوت المصرى لم يكن الآلهة غنى عن هذه الصيغ ليحموا أنفسهم من خصومهم، وقد كان من المعروف أن تحوت قرأ رقية بقرة السماء على «رع» لحمايته [٢]، وإيزيس تتسلط على «رع » الذى أصابته الشيخوخة، لتحصل منه على قدراته السحرية التى تكمن فى اسمه الحقيقى، فتشكل ثعبانًا من الصلصال المندى بلعاب الإله الذى سال من فمه، وتدفع بالثعبان ليلدغ الإله، ويصاب « رع» ويطلب النجاة، تتقدم له وتساعده فى مقابل أن يبوح لها باسمه الخفى، وأمام آلامه يبوح لصانعة هذا السحر باسمه الخفى [٣].

(١) د. عبد العزيز صالح: الشرق الأدنى ص ٥٤٦ : ٥٤٧، محمد بيومى مهران: تاريخ العراق القديم ص ٦٨: ٧٦.

(٢) أرمان : سابق ص ٤١٠.

(٣) نيقولا جريمال: تاريخ مصر القديمة،ت: ماهر جويجاتى، دار الفكر للدراسات، بالقاهرة ١٩٩٣ ص ٥٥.

ولأن الملك كان ابن الإله أو وكيله فى الأرض أو المختار منه، كان طبيعياً أن يمنحه قدرة استخدام هذه الصيغ؛ لأنه هو الذى يشيد له المعابد ويحضر له القرابين، وهو صاحب الحق فى رؤيتها، وكان من الشائع أن الملك يستمد إرادته ونبوءته وبركته من الإله ، لذا حرص الجميع على طاعته والتماس بركته، فحاشية حاكم بوفينه (ارتيريا أو الصومال) حرصوا عند زيارتهم لمصر، الانحناء أمام رمز حتشبسوت للتحية والتماس البركة : «تحية لك ملك الشمس الأنثى التى تضىء مثل الكواكب » [1]، على اعتبار أن الحاكم يمتلك «الحكا» الإلهية، القوة التى تسمو على الطبيعة، التى كانت تستقر فى أسماء الآلهة الخفية، وتحل فى الأشياء المقدسة كتيجان الملك الزاخرة بالسحر، ومن شأن التمائم والرقى أن تنقل إلى الإنسان نصيبا من هذه القوة التى كان يعتمد عليها فن السحر[2]، أو لاعتبار أن الحاكم كان الكاهن الأكبر لإله مدينته، وعليه تقديم التقديس المطلوب، وكان عليه أيضًا النطق بالبركات السبع فى عيد التكريس، كما فعل «أنتمينا» فى بلاد الرافدين، لكونه الإيشاكو الأكبر لـ « ننجرسو» [3]، ولانشغال الملك بشئون المملكة، قام الكهنة بهذه الأمور تحت اسمه، وكان فى كل معبد العديد من الكهنة المهرة فى استخدام وإبداع هذه الصيغ، حتى أن الحاكم والرعية على حد

---

(١) د. عبد العزيز صالح. سابق ص ٢٢٨.

(٢) أرمان : سابق ص ٤١٥ .

(٣) ل. ديلابورت: بلاد ما بين النهرين الحضارتان البابلية والآشورية، ترجمة محرم كمال، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٧ ص ١٥٠ .

سواء، لم يكونوا يقومون بأى عمل قبل الحصول على الصيغة المناسبة منهم، خاصة فى الأزمات، كان الحاكم يحصل على البركة المناسبة قبل دخوله أى معركة، كما كان يحصل فى نفس الوقت على اللعنة التى تسحق أعداءه من أمامه ، فيروى أن «أنانا توم» حاكم لجش، كان على خصومة مع دويلة «أوما»، وقبل أن تقابل جيوشه جيوشها، استنزل اللعنات على من يتعدوا الحدود الموسومة باسم «نين جيرسو ونانشة»، سواء كانوا من دولة أوما أم من غيرها واستعدى عليهم ربه إنليل، ودعا عليهم بأن يلقى عليهم نين جيرسو شبكته، وأن تتنزل عليهم يده الرفيعة وقدمه السنية من عل (١).

إذا عبر رجال أوما حفرة الحدود للنجرسو وحفرة الحدود لنينا، بواسطة رجال أوما أو رجال أخرى بوضع أيديهم القطر.. ألا فليهلكهم إنليل ويقضى عليهم تمامًا.. ألا فلتهزمهم شبكة ننجرسو العظمى، ألا فلتسقط عليهم يده الرفيعة وقدمه السنية من عل.. ألا فليمتلئ جند مدينته غضبا وليدخل الخوف فى كل قلوب أهل مدينته (٢).

وحمورابى أنهى قوانينه بتحذير للحاكم القادم بعدم الاستهانة بمواد القوانين، وطالبه بالعمل على تنفيذها، ثم عدد اللعنات الشديدة التى ستنزلها الآلهة بمن يحاول تحريف هذا القانون أو محوه، والطريف أن الملك العيلامى الذى نقل المسلة التى كتب عليها

(١) د. عبد العزيز صالح: سابق ص ٤٥٨.

(٢) ل. ديلابورت: سابق ص ٢٠٤.

قوانين حمورابى ، والتى ستتزل على من تسول له نفسه أن يطمس معالم هذا القانون، عدل عما اعتزمه، وترك الكتابة حتى المادة ٢٨٢ (١).

إذا لم يحترم هذا الرجل

عباراتى التى دونتها على مسلتى

ويحتقر لعناتى ولعنات الآلهة ولم يرها

وإنما يمحو القانون الذى شرعته

ويحور كلماتى ويهمل نقوشى ويمحو اسمى

ويكتب اسمه عوضًا عنه

وبسبب هذه اللعنات ويدونها باسم آخر

....

عله يبشر باندثار مدينته وتمزق رعيته

و إبعاد سلطانه

وعدم استمرار اسمه وذكره فى بلاده

عل " أيا " الأمير العظيم

الأول فى تقدير المصائر

سيد الآلهة العالم بكل شىء

---

(١) محمد بيومى مهران: سابق : ٢٤٠.

أن يسلبه الحس والعقل

ويسد منابع روافده [1].

كما تشير النصوص إلى إنهم أرجعوا الثورات السياسية التى أنهت حكم (سرجون الأول) إلى لعنة إلهية، وأوعزوا ذلك إلى إنه كان قد نكل بمدينة بابل، مدينة الرب «مردوك» وأزال أساساتها الموسومة باسمه، ثم أعاد بناءها على هواه، فغضب مردوك لهذا، وابتلى قومه بالمجاعة وفرق شملهم من حوله، وقضى عليهم بعد الراحة [2]، كما فسروا زوال دولة أكد والأكديين، إلى لعنة ثمانية أرباب بسبب أثم «نرام سين» ورجاله، فى حق معبد الإله أنليل بـ «نفر»، فبعد أن بارك «إنليل » «سرجون» ووهبه السيادة، وبارك فى «أكد» التى زاد مجدها بتدبير ربتها الحامية «أنانا» ... جاء «نرام سين» - آخر حكام الدولة الأكدية - وعصى «إنليل» سبع سنوات، وأمر جنده بمهاجمة معبد «أكور»، فنهبوه ودمروه حتى أصبح البيت كالشاب المطروح ميتًا، كما أنهم نهبوا نفر نفسها، فهاج «إنليل» وقذفهم بأهل الجبال «الجوتيين» ، فعم القحط والجوع أرض «سومر» كلها، وتفشى فيها الغلاء والوباء وتهددت بالفناء، وحينئذ - على حد ما جاء بالخبر - انبرى ثمانية أرباب، منهم «سين وإنكى، ونينورتا، وأوتو، ونيدابا»، ووعدوه بتدمير «أكد»، عسى أن يكشف الضرر عن بقية البلاد، فواجهوا «أكد» ونطقوا بلعنة الخراب

---

(١) الذنون: سابق ص ١٣٩ : ١٤٠.

(٢) د. عبد العزيز صالح: سابق ص ٤٨٢.

عليهم، ودعوا عليها بأن يعود طوبها إلى أصله (الطينى) فى ماء العمق، وتذبح زوجاتها عوضاً عن بقراتها، ويذبح أبناؤها عوضا عن أغنامها، وينضب منها كل شىء وانتهت الرواية بتأكيد حدوث ذلك كله [1].

ولم يختلف الأمر كثيرًا فى كنعان عن الحضارات المجاورة، حيث عثر على العديد من اللعنات التى كانت تصب على الأعداء ومنتهكى حرمة الميت، وعثر على نقش بقبر الملك « أحيرام» ملك جبل، كتب عليه هذه اللعنة: إذا ضرب ملك من الملوك أو حاكم من الحكام، معسكره أمام جبل، وكشف عن هذا التابوت، فسيتحطم صولجان قوته وينقلب عرشه ويسود السلام، ومن محا هذا النقش فسيسلم إلى فم الهاديس [2]، كما عثر على بعض التعاويذ الواقية من الأسود، وقد فشل الأثريون فى فك رموزها؛ لأنها كتبت بحروف مصرية قديمة : «إدار إدش إدرجه إدش متحدًا مرم إدش متحدًا إمى إدش »، وهى تتضمن بعد ذلك اسم الإله بعل [3]، والنصوص التوراتية قد حفظت لنا نصًا لبركة كهنوتية ملكية، منحها ملك شليم ويدعى ملكى صادق، إلى إبراهيم بعد أن انتصر على خمسة ملوك، واسترد الأسرى من النساء والرجال والأطفال، كما أنه نجح أيضا فى إعادة جميع الغنائم التى سلبوها عند إغارتهم على البلاد

---

(١) السابق: ص ٤٨٩.

(٢) جـ. كونتنو: سابق ص ٤٠٨.

(٣) أرمان: سابق ص ٤٠٥.

وهذه البركة تعد بركة ملكية وكهنوتية فى آن واحد، على اعتبار أن الملك فى الحضارة الكنعانية ـ مثل الحضارة المصرية والبابلية ـ كان يشغل وظيفة الكاهن الأكبر، ويتضح من النص التوراتى، أن المباركة كانت، بجانب الصياغة الشفوية، يستخدمون الخبز والخمر: وكذلك حمل إليه ملكى صادق ملك شاليم، الذى كان كاهنًا لله العلى، خبزًا وخمرًا، وباركه قائلاً: لتكن عليك يا إبرام بركة الله العلى، ملك السماوات والأرض، وتبارك الله العلى الذى دفع أعداءك إلى يديك [1]، كما حفظت لنا النصوص واقعة فى غاية الأهمية، يتضح منها أن البركة، سواء كانت فى الديانة الكنعانية أو البابلية، لم تكن ترد[2]، وأن الذى تمت مباركته يستحيل لعنه، فبعد خروج موسى ببنى إسرائيل من مصر، وبعد استيلائهم على أرض الأموريين، ارتحلوا إلى سهل مؤاب، شرقى الأردن مقابل أريحا، فخاف منهم «بلاق بن صفور» ملك مؤاب، فأرسل إلى «بلعام بن بعور»؛ ليلعن له هذا الشعب ويتمكن من هزيمته، ومع طول الواقعة نسجلها لأهميتها:

وارتحل الإسرائيليون ونزلوا فى سهل مؤاب، شرقى الأردن مقابل أريحا، وإذ بلغ بلاق بن صفور ملك مؤاب، جميع ما أنزله الإسرائيليون بالأموريين، اعتراه الفزع لكثرة عددهم، وملأ الخوف

---

(١) تك ١٤: ١٨.

(٢) د. سوزان السعيد يوسف: الطقوس الدينية والاجتماعية فى الفولكلور اليهودى فى العهد القديم، رسالة دكتوراة غير منشورة، آداب القاهرة ١٩٨٩ ص ٣٨٨.

قلب شعبه من الإسرائيليين، فقال بلاق لشيوخ مديان :إن هذا الجمهور قادر على لحس كل ما حولنا كما يلحس الثور عشب الحقل، ثم بعث برسل يستدعى بلعام بن بعور المقيم فى موطنه فى فتور الواقعة على نهر الفرات قائلاً : ها قد خرج شعب من مصر يغشى وجه الأرض بكثرته، وهو منتشر أمامى، فتعال الآن والعن لى هذا الشعب لأنه أعظم منى، لعلى أتمكن من دحره وطرده من الأرض؛ لأنى عرفت أن من تباركه يكون مباركًا ومن تلعنه يكون ملعونا، فمضى شيوخ مؤاب وشيوخ مديان حاملين حلوان العرافة، وأبلوا على بلعام وأبلغوه كلام بلاق، فقال لهم : بيتوا هنا الليلة، وغدا أرد عليكم جوابا كما يعلن الرب، فمكث رؤساء مؤاب عند بلعام، فتجلى الله لبلعام وسأله : من هم هؤلاء الرجال الذين عندك؟، فأجاب : لقد أرسل بلاق بن صفور ملك مؤاب إلىَّ قائلاً: ها قد خرج شعب من مصر يغشى وجه الأرض، فتعال الآن والعنه لى، لعلى أقدر على محاربته وطرده، فقال الله لبلعام: لا تمض معهم، ولا تلعن الشعب لأنه مبارك، فنهض بلعام فى الصباح وقال لرؤساء بلاق: انطلقوا إلى دياركم؛ لأن الرب أبى أن يأذن لى بالذهاب معكم، فانطلق رؤساء مؤاب وأبلغوا بلاق أن بلعام رفض أن يحضر معهم، فعاد بلاق وبعث أيضا عدداً من الرؤساء أكبر، وعظماء أكثر من الرؤساء الأولين، فقدموا على بلعام وقالوا : هذا مايقوله لك بلاق بن صفور: لا تتقاعس عن المجىء إلىَّ، لأننى سأبالغ فى إكرامك، وكل ما تطلبه أفعله، فتعال الآن والعن هذا الشعب، فأجاب بلعام رسل بلاق: لا يمكننى أن أعصى أمر الرب

إلهى فى أى عمل صغير أو كبير ، ولو أغدق علىَّ بلاق ملء قصره فضة وذهبا، فالآن اقضوا هنا ليلتكم لأعلم بماذا يعود الرب فيوصينى به، فتراءى الله لبلعام ليلاً وقال له: إن جاء الرجال يستدعونك فقم وامض معهم، وإنما لا تنطق إلا بما آمرك به فقط، فنهض بلعام صباحاً وأسرج أتانه، وانطلق مع رؤساء مؤاب، فاحتدم غضب الله لأنه مضى معهم، فاعترضه ملاك الرب فى الطريق ليقاومه وهو راكب على أتانه وغلاماه معه، فأبصرت الأتان ملاك الرب منتصبا فى الطريق، وقد استل سيفه بيده، فحادت عن الطريق ومشت فى الحقل ، فضربها بلعام ليردها إلى الطريق، ثم وقف ملاك الرب فى ممر للكروم يقوم على جانبيه حائطان، فلما شاهد الأتان ملاك الرب زحمت جانب الحائط وضغطت رجل بلعام عليه، فضربها أيضًا، ثم اجتاز به ملاك الرب ووقف فى موضع ضيق، لا سبيل فيه للتحول يمنة أو يسرة، فلما رأت الأتان ملاك الرب ربضت تحت بلعام، فثار غضب بلعام وضرب الأتان بالقضيب، عندئذ أنطق الرب الأتان ، فقالت لبلعام : ماذا جنيت حتى ضربتنى الآن ثلاث دفعات ؟، فقال بلعام : لأنك سخرت منى، لو كان فى يدى سيف لكنت قد قتلتك، فأجابته الأتان : ألست أنا أتانك التى ركبت عليها دائما إلى هذا اليوم؟، وهل عودتك أن أصنع بك هكذا؟ فقال : لا .. عندئذ كشف الرب عن عينى بلعام، فشاهد ملاك الرب منتصبا فى الطريق وسيفه مسلول فى يده، فخر على وجهه ساجداً، فقال له ملاك الرب: لماذا ضربت الآن أتانك ثلاث مرات ، فها أنا قد جئت لأعترضك؛ لأن طريقك ملتوٍ فى نظرى،

فشاهدتنى الأتان فحادت من أمامى ثلاث مرات، ولو لم تفعل لكنت قد قتلتك واستحييتها، فقال بلعام لملاك الرب: لقد أخطأت، ولم أعلم أنك واقف لاعتراضى فى الطريق ، والآن إن ساء فى عينيك فإنى أرجع، فقال ملاك الرب لبلعام : امض مع الرجال، ولكن عليك أن تنطق بما آمرك به فقط، فانطلق بلعام مع رؤساء بلاق، فلما بلغ بلاق أن بلعام قد قدم أسرع لاستقباله إلى مدينة مؤاب الواقعة على حدود أرنون القصية، فقال بلاق لبلعام: ألم أبعث إليك أستدعيك؟، لماذا لم تقدم على؟، أحقا أعجز عن إكرامك؟، فأجاب بلعام : ها أنا جئت إليك أتظن أن فى وسعى أن أتكلم الآن بما أريد؟، على أن أنطق فقط بما يأمرنى به الرب، فمضى بلعام مع بلاق حتى أقبلا إلى قرية حصوت، فذبح بلاق بقراً وغنماً وأرسلها إلى بلعام ومن معه من الرؤساء، وفى الصباح التالى أخذ بلاق بلعام إلى مرتفعات بعل، فرأى من هناك بنى إسرائيل كلهم، فقال بلعام لبلاق : ابن لى هنا سبعة مذابح، وأعد لى هنا سبعة ثيران وسبعة كباش، ففعل بلاق كما طلب بلعام ، وقرب بلاق وبلعام ثوراً وكبشاً على كلِّ مذبح ، ثم قال بلعام لبلاق: قف هنا عند محرقاتك فأمض أنا لعل الرب يأتى للقائى، ومهما يعلن لى أبلغك به، ثم ارتقى بلعام رابية، فوافى الله بلعام ، فقال بلعام: قد أعددت سبعة مذابح وقربت ثورًا وكبشًا على كلِّ مذبح، فحمل الرب بلعام رسالة وقال: ارجع إلى بلاق وبلغه إياها، فعاد إليه، وإذا به مازال واقفاً عند محرقاته، ومعه جميع رؤساء مؤاب، فنطق بنبوءته قائلاً: أتى بى بلاق ملك مؤاب من بلاد أرام من الجبال الشرقية، وقال: تعال العن

لى يعقوب، واشتم لى إسرائيل ، كيف ألعن من لم يلعنه الله ؟، وكيف أشتم من لم يشتمه الرب؟، ها أنا أراهم من قمم الصخور، ومن الآكام أبصرهم، هوذا شعب يسكن وحده، ولا يحسبون أنفسهم أمة من الأمم، من يقدر أن يحصى تراب يعقوب أو يعد ربع إسرائيل؟، لتمت نفسى موت الأبرار، ولتكن آخرتى كآخرتهم، فقال بلاق لبلعام: ماذا فعلت بى؟، لقد استدعيتك لتشتم أعدائى، وها أنت تباركهم، فأجابه : إننى أحرص أن لا أتكلم إلا بما يضعه الرب على فمى، فقال له بلاق : تعال معى إلى موضع آخر فلا ترى إلا طرف مخيم الشعب فقط، والعنه لى من هناك، فأخذه إلى حقل صوفيم المشرف على رأس الفسجة وهناك شيد سبعة مذابح، وقرب بلعام ثوراً وكبشاً على كلّ مذبح، وقال لبلاق: انتظرنى هناك عند محرقاتك وأنا أمضى إلى هناك، فوافى الرب بلعام ولقنه رسالة وقال له : ارجع إلى بلاق وبلغه إياها، فأقبل على بلاق، وإذا به منتظر عند محرقاته ومعه رؤساء مؤاب، فسأله بلاق : ماذا تكلم الرب؟، فضرب مثله قائلاً : انهض يا بلاق واصغ، استمع إلىّ يا ابن صفور، ليس الله إنساناً فيكذب، ولا هو ابن آدم فيندم، هل يقول ولا يفعل أو يعد ولا يفى؟، إنى أمرت أن أبارك، وهو قد بارك ولا طاقة لى على رده، لم يشهد إثمًا فى يعقوب، ولم ير مشقة فى إسرائيل، الرب إلههم معهم، وهتاف للملك فيهم، الله أخرجهم من مصر، وقوتهم مثل قوة الثور الوحشى ، فلا عيافة تضر يعقوب، ولا عرافة تؤثر فى إسرائيل، منذ الآن يُقال عن يعقوب وعن إسرائيل : انظر ماذا فعل الله، هوذا شعب يتحفز كلبؤة وينهض كأسد، لا ينام

حتى يلتهم فريسته ويلغ فى دم قتلى، فقال بلاق لبلعام: إذا لا تلعنه ولا تباركه ، فأجاب بلعام: ألم أخبرك أننى لن أنطق إلا بما يأمرنى به الرب ؟، فقال بلاق : دعنى آخذك إلى موضع آخر، فعسى أن يحسن فى عينى الله أن تلعن لى الشعب من هناك، فأخذ بلاق بلعام إلى قمة جبل فغور المشرف على امتداد الصحراء، فقال بلعام لبلاق :ابن لى هنا سبعة مذابح، وجهز لى هنا سبعة ثيران وسبعة كباش، فلبى بلاق طلب بلعام، وقرب ثورًا وكبشًا على كلّ مذبح، ولما رأى بلعام أن الرب يسر بمباركة إسرائيل لم يمض كالمرتين السابقتين لملاقاة الرب، لكنه اتجه بنظره نحو الصحراء ، وهناك شاهد بنى إسرائيل مخيمين حسب أسباطهم، فحل عليه روح الله، وتنبأ قائلاً: كلام بلعام بن بعور، كلام الرجل المفتوح العينين، كلام من يسمع أقوال الله الذى يشاهد رؤيا القدير، الذى ينطرح فتنفتح عيناه، ما أجمل خيامك يا يعقوب، وما أبهى مساكنك يا إسرائيل، هى مثل أودية ممتدة، وكجنات على مجرى نهر، وكشجرات صبار غرسها الرب، ومثل أشجار الأرز النامية بجوار المياه، تجرى مياه من ساقية، ولزرعه يتوافر ماء غزير ، يكون ملكه أعظم شأناً من أجاج وتتسامى مملكته، والله أخرجه من مصر، وقوته مثل الثور الوحشى، يفترس خصومه من الأمم، ويقضم عظامهم ويثخنهم بسهامه، يجثم كأسد، ويربض كلبؤة، فمن يجرؤ على إثارته ؟، من يباركك يكون مباركاً، ومن يلعنك يكون ملعوناً، فاستشاط بلاق غضباً على بلعام، وضرب كفا على كف قائلا له : ادعوتك لتشتم أعدائى، وها أنت قد باركتهم ثلاث مرات، والآن اغرب عن وجهى

وامض إلى بيتك، فقد كان فى عزمى إكرامك، ولكن الرب شاء أن لا تحظى به، فأجابه بلعام : ألم أقل لرسلك الذين بعثتهم إلىَّ، إنه ولو أغدق علىّ بلاق ملء قصره ذهباً وفضة فلن أعصى أمر الرب، فأصنع خيرًا أو شرًا من نفسى؟ فإن ما يلعنه لى الرب فإياه أبلغ، والآن أعود إلى شعبى، ولكن دعنى أنبئك بما سينزله هذا الشعب بقومك فى آخر الأيام، ثم تنبأ قائلاً: كلام الرجل مفتوح العينين، كلام من يسمع أقوال الله، ويتلقى المعرفة من العلى، الذى يشاهد رؤيا القدير، الذى ينطرح فتتفتح عيناه، أراه ولكن ليس حاضراً، أبصره ولكن ليس قريبًا، يخرج نجم من يعقوب، ويظهر ملك من إسرائيل فيحطم طرفى مؤاب، ويهلك كل رجال الحرب، ويرث أرض أدوم ، ويتملك ديار سعير، أما إسرائيل فيزداد قوة، ويبرز حاكم من يعقوب فيدمر ما تبقى من مدن الأعداء، ثم تطلع بلعام نحو مساكن أهل عماليق فتنبأ: كان عماليق أول الشعوب، أما عاقبته فإلى الهلاك، ثم إلتفت نحو القينيين فأنبأ : ليكن مسكنك منيعًا، وعشك موضوعا فى صخرة، وإنما ستدمرون عندما يطردكم الآشوريون، ثم تنبأ قائلاً : من له طاقة على العيش حين يجرى الرب ذلك؟، تقبل سفن من كتيم، وتخضع آشور وتذل عابر، فهما أيضًا يهلكان، ثم رجع بلعام إلى دياره ، أما بلاق فمضى فى سبيله (١) .

هذه الواقعة، على طولها، توضح لنا كيفية المباركة واللعن فى الحضارتين الكنعانية والبابلية، إذ يشير النص إلى أنه كان يتم إعلانهما، خاصة اللعنة، من قمة مرتفعة؛ جبل أو كيمان، بحيث

---

(١) العدد: الاصحاح رقم ٢٢و ٢٣و ٢٤: ٢٥.

يحيط اللاعن بالملعونين من عل، ويتضح أيضًا أن اللعن والسب كان لا يعتمد فقط على الصياغة الشفوية، بل تبين أنه يحتاج بعض الطقوس، مثل المكان المرتفع، وبناء مذبح واختيار الذبيحة، وأن هذه الصيغ مع أنها تنطق من فم بشرى، إلا أن الرب هو مصدرها ومنتجها الأول، كما يتبين من النص إمكانية استئجار المبارك أو اللاعن، وبمعنى آخر أن هذه الصيغ كانت تباع بمقابل مادى، وأن العامة والخاصة كانوا يؤمنون بقوتها وقدرتها على تغيير الحال إلى آخرى، وأن - وهو الأهم - البركة لا ترد، وأن الذى تمت مباركته لا يمكن لعنه، وأن صياغة المباركة دائمًا وغالبًا ما كانت تتضمن مفردات التسيد والتملك على الأخرين، فضلا عن السعة فى الرزق والخير القادم على جميع الصعد، وأن صياغة اللعن كانت تتضمن مفردات التحقير من شأن الملعون، بالإضافة إلى صب العديد من كلمات السب والشتيمة، التى قد تبدأ من سبه وسب أهله وعشيرته، والتمنى له بالمرض والفقر والتشرد إلى تكفيره والدعاء عليه بالموت.

وإذا انتقلنا إلى الحضارة المصرية، يتضح لنا أنها لا تختلف كثيراً عن بلاد ما بين النهرين، والمدن الفلسطينية والشامية، إن لم تكن تفوقها جميعًا فى استخدام هذه الصيغ السحرية، حيث كان على الكاهن قبل أن يتلو هذه الصيغ، أن يتطهر قبل كل شىء تسعة أيام، ثم يتمخض بعد ذلك بنوعين من الزيوت، وأن يتبخر، بحيث تكون المبخرة من وراء الأذنين، وأن يطهر الفم بالنطرون، وأن يغتسل بماء الفيضان، وأن يتخذ نعلين من الجلد الأبيض، وكان عليه آخر

الأمر أن يرسم على لسانه علامة الحق بمداد أخضر، وأن يدخل فى دائرة لا يجوز له أن يتركها طوال أداء الطقس السحرى، ولتلاوة ورد آخر تلاوة مجدية، كان يجب أن ترسم على الأرض سورة كاملة، تمثل امرأة آلهة على وسطها ثعبان منتصب على ذيله، وسماء وأشياء أخرى، أو ترسم على اليد عين تضم صورة الإله أنوريس(١)، وكان من الخير ألا تتلى الأوراد مرة واحدة وإنما أربع مرات، على النحو السابق ، وإذا ألحقت بالأوراد كلمة «اليوم» كان ذلك علامة على أنها يجب أن تؤتى أثراً سريعاً، كما كانت تضاف إليها فى بعض الأحيان هذه العبارة الوقاء من وراء، الوقاء المقبل، الوقاء، وكان عليهم أن يتلوها فى صوت مهيب، وغالباً فى نظم شعرى (٢)، وقد عثر على كتب للسحر، تمنح القوة والبأس ضد الأعداء، وتنشر الفزع ، وقد جاء فيها : إذا صنعت تماثيل الآلهة والبشر من الشمع، ثم دست فى منزل الخصم، فإنها تشل فيه يد الإنسان، وعثر فى طيبة على تل من كسر الفخار، محفوظًا الآن بمتحف برلين، يرجع أغلب الظن إلى الأسرة الحادية عشرة، التى قضى أمنمجات الأول على حكمها حوالى ٢٠٠٠ ق.م ، كتب على عدد كبير من القدور والصحاف، قائمة بأسماء كل من يخشى خطره على الملك مزودة ببيانات دقيقة عن كل فرد منهم، ومرتبة بعناية وفق بلادهم، كتب صراحة أمام أسماء الأعداء من المصريين أنهم «يجب أن يموتوا»، وأكتفى مع الأعداء الأجانب بإضافة علامة تعنى أنهم فى عداد

---

(١) أرمان: سابق ص ٤٠٥.

(٢) السابق : ص ٤٠٦.

الموتى، وكان الساحر يعتقد أن هذا المصير سوف يلحق بهم إن هو هشم القدور التى عليها أسماؤهم ، هذا بالإضافة إلى أنه حاول بهذه القدور أن يزيل شرًا آخر ، بإضافته لقائمة الأعداء كل العبارات السيئة، وسائر الكلام السيئ وكل سباب سيئ وسائر الأفكار السيئة والدسائس والمنازعات والمشاجرات، والأحلام والنوم السيئ وإذا أمحى هذا كله، أمحى كل ما يمكن أن يرهق الملك فى اليقظة أو النوم [1]، وكان يقوم بكل هذه الأعمال فئة « الخرحب» أو كتبه كتاب الإله من الكهنة، وكان يشغل أعلى وظائفهم فى الدولة القديمة أبناء الملك، وتترجم عبارة خر حب أو حريوتب بالسحرة، وحرفيًا : متصدر الجميع، وهى غالبا تكون ملتصقة بلقب «خرى حبت» أو من يقوم بالشعائر، وتعنى المكلف بقراءة النص الشعائرى، ومنها انبثقت ما اتفق عليه بـ الكاهن المرتل [2]، ويرى البعض أن عبارة حرتوم التى ذكرت فى التوراة، والتى تعنى سحرة مصر، قد أخذت من الكلمة المصرية «حرى تب» [3]، وتحدثنا مجموعة طريفة من القصص وصلتنا من الدولة الحديثة، كيف يستخدمون فنهم لأغراض دنيوية، فقد نقش على معبد «آمون» بالكرنك مباركة الإله آمون لابنه الفرعون «تحتمس الثالث» تقول: إنى أمنحك القوة والنصر على كل البلاد الجميلة، وإنى أمكن مجدك والخوف منك

(١) السابق: ص ٤٠٨.

(٢) إيفان كونج: السحر والسحرة عند الفراعنة، ت: فاطمة عبد الله محمود، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٩ ص ١٩.

(٣) السابق: ص ٣٢.

فى كل البلاد السهلة كذلك، والرعب منك يمتد إلى عمد السماء الأربعة، إنى أجعل احترامك عظيما فى كل الأجسام، وأجعل نداء جلالتك الحربى يتردد بين أمم القوس التسع، وعظماء جميع البلاد الأجنبية جميعهم فى قبضتك، وأنى بنفسى أم يدى وأصطادهم لك، وأربط الأسرى من الترجلوديت (قبائل البدو) بعشرات الألوف، وأهل الشمال بمئات الألوف، إنى أجعل أعداءك يسقطون تحت نعليك فتطأ، كما إنى أمنحك الأرض طولاً وعرضًا"(1) ، ويروى «ديودورس» أن الحاكم المصرى، يبدأ يومه بارتداء الزى الرسمى، والوقوف أمام الكاهن الأكبر لكى يباركه ويعدد فضائله، ثم يستنزل اللعنات والسخط على جميع الخطايا والذنوب التى اقترفت عن جهل وعن غير قصد(2)، والحاكم المصرى مثله مثل حكام آشور وبابل وكنعان والشام كلما شيد موقعا ما، سجل عليه بركة الرب التى تنال الملوك الذين يحافظون على الموقع من بعد، ويصب لعنته ولعنة الإله على من يدمرها أو يمحو اسمه من عليها، وقد وصلتنا صياغة فى هذا الغرض، تركها الملك «سيتى الأول» والد رمسيس الثانى، على معبد «أبيدوس» يبارك ويحذر فيها من يأتون بعده: كل الملوك الذين سيدعمون ما رتبته، سوف تباركهم الآلهة، آمون، ورع حور آختى، وبتاح تاتن، وأوزوريس، وسيحكمون البلاد وهم سعداء..أما هؤلاء الملوك الذين سيتجاهلون مخططاتى فى المستقبل، فإن الآلهة ستمقت عملهم، و سيحاكمون فى هليوبوليس،

---

(1) سليم حسن: الأدب المصرى القديم، كتاب أخبار اليوم، القاهرة ١٩٩٠ جـ٢ ص ١٩٠.

(2) فلندرز بترى: سابق ص ٩٠.

وستلقى محكمة الآلهة فى آتون مشتعل فى احمرار الجمر بمن لا يعبأ بى، ومن ينقض مخططاتى ستحطمه الآلهة، ثم تمزقه أربا على المقصلة فى العالم السفلى، وأى موظف يشجع سيده على نقل العمال للخدمة فى مجالات أخرى، سيلقى فى الجحيم، وتأكل النار جسده وتلتهم أطرافه.. وكل من يصم أذنه عن فحوى هذا المرسوم، سيتعقبه أوزوريس، وتطارد إيزيس زوجته، ويتربص حورس بأولاده، وكل آلهة الجبانة العظماء ستنفذ فيه الحكم (١).

وهذه الصيغ السحرية، سواء الخاصة بالبركة أو اللعنة، كان الكهنة يحفظونها فى أماكن سرية داخل المعابد، حتى لا تصل إلى أيدى البعض الذين يستغلونها فى غير موضعها، أو لجلب الشر، أو لكى لا تفقد هذه الصيغ قوتها، فيشير أحد النقوش الذى يرجع تاريخه للأسرة الثالثة عشرة، إلى سرقة الحجرة التى يحتفظ بداخلها هذه الصيغ ويتحسر كاتب النص على ما تم سرقته :

واحسرتاه على الحجرة الخاصة ، فلقد سرقت كتبها
لقد انكشفت الأسرار التى تحتفظ بها
واحسرتاه فقد انكشفت الصيغ السحرية
لقد فقدت الصيغ تأثيرها إذ رددها الناس (٢) .

---

(١) كنت أ. كتشن: رمسيس الثانى فرعون المجد والانتصار، ت: د. أحمد زهير أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٧ ص ٥٩.

(٢) جونيفييف هوسون ودومينيك فالبيل: الدولة والمؤسسات فى مصر، ت: فؤاد الدهان، دار الفكر للدراسات بالقاهرة ١٩٩٥ ص ٤٧.

وهذه الصيغ كانت تتداول بين عامة الناس، وقد تفنن الكهنة فى تأليف الصيغ التى تناسب جميع احتياجات العامة، الحب والولادة وحماية الأطفال ، وإعادة الزوج وهداية الشقى، كما قاموا بصناعة التماثيل والشواهد الصغيرة؛ لتعلق فى البيوت أو الرقاب، حماية من أنواع الحيوانات الشريرة، ومن هذا القبيل كانوا ينظمون سبع حلقات من الحجر، وسبع حلقات من الذهب أو سبعة خيوط من الكتان، تعقد بها سبع عقد، ومن الممكن أن تضاف إليها أية وسيلة أخرى ككيس صغير فيه عظام فأر، أو كخاتم نقشت عليه يد وتمساح ، أو أى علامة أخرى مما يجلب الحظ [1]، وقاموا بتأليف عدد من الرقى لإعادة المحبوب :

السلام عليك يا رع حرختى، يا أبا الآلهة.

السلام عليكن أيتها الحتحورات السبع.

يا من تتزين بعقود من الخيط الأحمر.

السلام عليكم أيها الآلهة، يا سادة السماء والأرض.

اجعل فلانة بنت فلان تتبعنى.

كما يسير الثور وراء العشب.

والأم وراء الطفل.

وسائق المواشى وراء قطيعه.

---

(١) أدلف أرمن: سابق : ص ٤١٣ .

فإذا لم تجعلها تاتى ورائى

فإنى سأحرق مدينة بوسيريس وأحرق أوزوريس [1] .

وكان يستحب تسمية الأطفال بأسماء يظن إنها تقيهم العين الشريرة، هذا بخلاف التعاويذ والأوراد والتمائم التى كانت توضع فى مقبرة الميت، وتتلى عليه لحمايته من الأرواح الشريرة، ومن عبث اللصوص، فضلاً عن التى تساعده على الحياة بسلام فى قبره حتى صعوده إلى الإله، وكتاب الموتى ملىء بتلك التعاويذ والأوراد، جاء فى نهايتها، من يعرف هذا الورد ينعم بهذه البركة [2].

نخلص مما سبق أن الحضارات الشرقية القديمة، عرفت ما يطلق عليه بالبركة واللعنة، وأن كهنة هذه الحضارات تفننوا فى تأليف الصيغ المناسبة، سواء كانت للعن والسب ، أو للمباركة، واتضح أن هذه الصيغ السحرية، بدأت فى المملكة اللاهوتية، يستخدمها الآلهة مع بعض، وأنها انتقلت من السماء إلى الأرض، وكان الملوك هم أول مَنّ تلقوها من الآلهة، فقد لقنها الإله البكر إلى الملك البكر، وقد ورثها الملك البكر إلى بكره قبل استلامه العرش، ولانشغال الملك بشئون الحكم، سمح للكهنة باستخدام هذه الصيغ، وقد تفنن فقهاء المعابد فى تأليف أنواع مختلفة منها لتسد احتياجات الملك والناس، وتبين أن هذه الصيغ كانت تلقى من أماكن مرتفعة، فى حالة اللعن، مع عمل بعض الطقوس الخاصة، وتبين

---

(١) مرجريت مرى: مصر ومجدها الغابر، ت: محرم كمال، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٨ ص ١٨٣ .

(٢) إرمان: سابق ص ٢٨١.

أيضا أن تأثيرها قد يكون مباشرًا أو مرتبطًا بزمن ما، وأنها كانت قادرة على التغيير من حال إلى أخرى، واتضح أن الذى تمت مباركته لا يمكن لعنه، كما يستحيل رد صيغة البركة.

الفصل السادس

الثمرة
النبــوة والكهنوت

فى المبحث الخاص بالبركة التوراتية، استوقفنا غضب عيسو الشديد من قيام يعقوب بسرقة بركته، وقد بلغ به هذا الغضب إلى التهديد بقتل شقيقه على فعلته هذه، وأدهشنا إصراره على أن ينال حظه من بركة والده، ومبلغ دهشتنا فى أن هذا الغاضب الثائر، سبق وتنازل، بكل استهتار، عن حقه المادى والمعنوى فى البكورية مقابل وجبة عدس .

لماذا إذن الآن شعر بالغضب وتملكته الثورة والحمية على شقيقه؟، هل امتلاك مجموعة من الصيغ، فى نظره، أفضل من التركة؟، نذكر جميعًا جملته قبل تنازله عن التركة: «أنا لابد مائت، فأى نفع لى من بكوريتى؟»، هل كان يجهل قيمة حقوق البكورية؟، هل كان يرى أن التركة لا تستحق من حيث الكم والقيمة؟، هل لأنه رأى إسحاق والده معمرًا وظن أنه لن ينال حقوقه سوى بعد أن يكون قدبلغ به العمر أرذله؟، أو اعتقد أنه سيموت قبل والده؟.

الذى وصل لنا من النصوص التوراتية، يؤكد بل يقطع بأن والده كان على درجة فاحشة من الثراء، حتى أن ثراءه هذا أثار حسد وخوف جيرانه من الكنعانيين، مما دفع حاكم المدينة التى كان يعيش على هامشها، أن يطلب منه الرحيل بعيدًا؛ لأنه بثروته هذه أصبح أكثر قوة من أهل البلدة جميعا : «وزرع إسحاق فى تلك الأرض (مدينة جرار)، فحصد فى تلك السنة مائة ضعف لأن الله باركه، وعظم شأن الرجل، وتزايد غناه وأصبح واسع الثراء والنفوذ، وصارت له ماشية، وغنم وقطعان بقر وعبيد كثيرون، فحسده الفلسطينيون، وردم الفلسطينيون بالتراب جميع الآبار التى حفرها عبيد أبيه فى أيام إبراهيم، وقال أبيمالك (ملك جرار) لإسحاق : ارتحل عنا لأنك أصبحت أكثر قوة منا» [(١)]، ولشدة خوفهم من ثرائه وقوته، بعد أن رحل عنهم وضرب خيامه فى وادى جرار (بئر سبع)، أقبلوا عليه ليسترضوه وليعقدوا معه حلفاً، ألا يعتدى عليهم ولا يعتدون عليه : «وأقبل عليه من مدينة جرار أبيمالك وأحزات مستشاره، وفيكول رئيس جيشه، وقالوا له: ليكن بيننا حلف ولنقطع معك عهدًا، أن لا تسىء إلينا، كما لا نمسك بشر، ولا يصيبك منا سوى الخير [(٢)].

فرجل بهذا الثراء الفاحش يصعب على وريثه أن يتنازل عن حقه فى التركة، حتى لو كان هذا الحق أو النصيب غير مميز، فما بالك

---

(١) تك ٢٦ : ١٢.

(٢) تك ٢٦ : ٢٦ .

إذا كانت حصته مميزة؟، كما أنه من الصعب أن يفضل الوريث البركة عن هذه الثروة .

إذن لماذا يصر الآن على البركة؟، ما فضل البركة على التركة؟، ما القيمة الموجودة فى البركة التى جعلته يتمسك بها عن الثروة/التركة؟، لماذا غضب على فقدها ولماذا جازف يعقوب لسرقتها؟، هل لأنه سوف يتسيد بها على أخوته؟، هل لأن الرب سيوسع عليه بفضلها؟، هل لأنه سيستطيع، عن طريقها، امتلاك مجموعة من الصيغ السحرية؟، هل بالفعل البركة هى أهم جزء فى حقوق البكورية؟.

أظن أن تنازل عيسو عن ثروة فى حجم تركة إسحاق، يسد الطريق أمام أية تكهنات ترجع ثورته إلى الحزن على الثروة التى كانت ستعود عليه من امتلاكه للبركة ، فلو كان عيسو يسعى لهذا ما تنازل عنها، فضلاً عن أن يعقوب عندما علم بثورة شقيقه، فر من وجهه تاركًا خلفه هذه الثروة، التى سبق واشتراها، كما أنه ليس من المعقول أو المنطقى أن يُقال: إن عيسو كان يتمنى البركة؛ لأنها كانت ستمنحه قدرة على استخدام صيغها السحرية، وهو ما يعود عليه بثروة وسطوة .

إذًا ما السبب الحقيقى وراء ثورة عيسو على ضياع البركة منه؟، ولماذا جازف يعقوب وانتحل شخصية عيسو ليسرق البركة؟، ولماذا شجعته والدته على سرقتها؟، ما أهمية البركة هذه؟، إذا كانت مميزاتها ليست فى الخير المترتب عليها، ولا فى صيغها السحرية .. ففى أى شىء إذن ؟، ما الذى تتضمنه البركة ليجعل لها هذه

الأهميـة؟، مـا مميزاتهـا الخـفـيـة التى جعلت عيسو يفـضلهـا عن الثروة ؟.

لو عدنا لنصوص البـركة، ابتداء مـن مبـاركة نوح لأولاده، يتضح لنا أن أهميـة هذه الصيغ، ليست فى الخيـر ولا فى امتـلاك أداة السـحـر، بل فى النبوة والكهنوت، بمعنى آخـر :أن القيمـة الحقيقـية لهذه الصيغ فى أنهـا تورث البكرى القداسـة، فبعد أن تنتقل إليه عبر والده، سوف يحمل مشعل القداسة فى الأسرة والقبيلة، سـوف يكون مقـدسًا؛ نبيًا وكاهنًا . هذه الصيـاغـات سـتمكنه من أن يـكون على اتصـال بالرب، يمنحـه بركتـه ويعـقـد مـعه ميـثاقًا؛ يجعل منه أمة كبيـرة، وتنحنى له جـمـيع الأمم، هـذه القـداسـة سـوف يورثهـا لبكره، وبكره يمنحهـا لبـكره ، وسـتظل هـكذا ممـتـدة فى ذريتـه مـن بكر إلى آخـر، وهـذا مـا كـان سـائدًا فـى الحـضـارات الـشـرقـيـة القديمة، حيث تبـين من النصـوص الـتى وصلتنا عن هذه الحـضـارات، أن فـقـهـاء المعـابد كـرسـوا لهـذه البكورية فى اللاهـوت ونظام الحكم والنبـوة والكهنوت؛ إذ كان الإله الأب يبـارك ابنه البكر، ويمنحـه مـسـئوليـة الإشراف على البشر والأرض، وكـان الإله البكر يبارك ابنه أو وكيله البـشـرى ليتـولى الحكم، والحـاكم يقوم بمبـاركـة بكره ويدربـه على كيفـيـة إدارة البـلاد، وعند وفاته يرث هذا الابن البكرى المسئولية، تشير النصـوص إلى أن سلك الكهنوت كان هو الآخـر محصـورًا فـى بعـض الأسـر، ينتـقل من بكر إلـى آخـر، وقـد كـان علـى رأس هذا السلك الكهنوتى، الكاهن النبى أو القـابض على الغـيب أو فـاتح باب السمـاء، وهو مـا نوضحه خلال هذا المبحث .

النبوة :

اتفق اللغويون والباحثون ، على اشتقاق مفردة: النبى، والنبوة من الفعل «نبأ» ويأتى الفعل بمعنى: تكهن ، خبر، تكلم باسم الله [1]، والمفردة بدلالتها عرفتها الحضارات الشرقية، وجاءت ضمن قواميسها اللغوية، خاصة اللسان الآشوري والبابلى والفرعونى والكنعانى [2].

ومن معانيها الهيروغليفية «Wn C 3 Wy nwpt»، بمعنى: «فاتح بابى السماء» [3]، ومنها أيضا «henw» :خنو ، بمعنى: المنادى [4] وفى اللسان الأكادى nabu " بمعنى يدعو أو الداعى، وفى الآرامية «لحما» [5] .

وفى اللغة العربية: نبأ : بمعنى: أخبر ... قال الجوهرى: والنبىء: المخبر عن الله عز وجل، قال سيبويه: ليس أحد من العرب إلا ويقول تنبأ بالهمزة، إلا أهل مكة، ويخالفون العرب فى ذلك، قال: والهمزة فى النبىء لغة رديئة، لا لأن القياس يمنع ذلك، بل

---

(١) معجم العلوم الاجتماعية : الشعبة القومية للتربية والعلوم والثقافية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٥صـ ٥٩٤ .

(٢) : Encyclopedia of the Americana religions , valume . D p 841
844 The Encyclopedia Americana international edition , v. 7 , p 664.

(٣) W.B udge . An Egyptian Hieroglyhic dictionary v,1. P166

(٤) P.584

(٥) محمد خليفة حسن : ظاهرة النبوة الإسرائيلية طبيعتها وتاريخها - دار الزهرا ١٩٩١-ص ٢٥ .

لقلة استعمالها وقد قيل للرسول (ﷺ) :يا نبىء الله، فقال له: لا تنبر باسمى، فإنما أنا نبى الله، وفى رواية قال :لست بنبىء الله، ولكنى نبى الله ..قال الجوهري: يجمع أنبياء، وقال الفراء: النبى هو من أنبأ عن الله، تاركاً للهمزة، قال: وإن أخذ من النبوة والنباوة، وهى ارتفاع عن الأرض ... وقال الزجاج : القراءة المجمع عليها فى النبيين والأنبياء طرح الهمزة .... والمفردة مشتقة من: نبأ أنبأ : أى أخبر ... وتنبأ الرجل : ادعى النبوة، ونبأت على القوم أنبأ نبئاً إذا طلعت عليهم [١].

وتنطق فى العبرية : «نافى» أو «نابى» [٢]، وهى ليست أصيلة فى اللغة العبرية، وقد اشتقت من جذر ثلاثى غير مستخدم له أكثر من معنى، فيرد بمعنى : تنبأ وتحدث كنبى، ويرد بمعنى يسبح وأنشد وأصبح مجنونا [٣]، ومن معانيها تكهن، وأدعى، علم ، رجم بالغيب، عرافة، علم بالحدس[٤]، وقد اختلف الباحثون حول اشتقاقها، البعض أرجعها إلى «نبو» الآشورية، والبعض الآخر إلى «نبأ» العربية ، والبعض الثالث أرجعها إلى الفعل «بو» بمعنى يدخل فى [٥]، وتأتى فى أربعة اصطلاحات : حوزيه أو الرائى، وهو الذى

---

(١) ابن منظور: لسان العرب ـ مادة : نبأ.

(٢) معجم اللاهوت الكتابى: سابق ص ٧٩٦، موسوعة المصطلحات الدينية واليهودية: سابق ص ٢٠٥، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: سابق، مادة: الأنبياء والنبوة.

(٣) د. محمد خليفة حسن: تاريخ الديانة اليهودية، القاهرة ١٩٩٦ ص ١٠٥.

(٤) دافيد ساجيف: سابق ٢/١١٢٠ : ١١٢١.

(٥) جرهاردوس فوس: علم اللاهوت الكتابى، ت: د. عزت زكى، دار الثقافة بالقاهرة ١٩٧٧ ص ٢٩٧.

يتنبأ بالغيب ورؤثه وهى قريبة من معنى السابقة، و«يش إلوهيم» بمعنى رجل الله، ونافى أو نابى [1]، وقد تم الاتفاق مؤخراً على أن النبى : هو فم الله، أو الذى يكتب ويتكلم من قوة خارجية عنه [2].

وهذا المتنبئ أو الرائى أو الداعى أو فاتح باب السماء، عرفته الحضارات القديمة، حيث تشير النصوص التى وصلتنا من هذه الحضارات ، أنه كان يجلس على قمة السلك الكهنوتى، وانحصرت وظيفتهم فى معرفة إرادة الآلهة بالتنبؤ والتكهن والعرافة، وقراءة الفلك، منهم من كان يعمل داخل المعبد، ومنهم من ارتبطت وظيفته بالبلاط الملكى، ومنهم من فضل التحرر من قيود الكهنوت والبلاط [3]، وتشير نصوص «أوجاريت» إلى بعض طقوس التنبؤ، وإلى ثمة عدد غير قليل من المتنبئين ضمن كهنة المعابد من كنعان، بالإضافة إلى طائفة خاصة منهم ، ولم تشر النصوص إلى معلومات تمكنا من فهم مكانتهم ووظيفتهم لكنهم كانوا يمثلون مظهرًا من مظاهر الدين الكنعانى، له نظيره بين العبرانيين [4]، وقلة النصوص هذه، دفعت البعض إلى وضع الأنبياء فى سلة واحدة مع المتنبئين والعرافين

---

(١) موسوعة المصطلحات الدينية واليهودية: سابق ص ٢٠٥، وانظر تطابق المادة مع ما جاء فى : موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: مادة الأنبياء والنبوة.

(٢) دائرة المعارف الكتابية: دار الثقافة بالقاهرة ٢٠٠١، مادة: نبوة، قاموس الكتاب المقدس: دار الثقافة بالقاهرة ١٩٩٧، مادة: نبى.

(3) see : prophet: The Jewish encyclopedia,and Encyclopedia Britannica .

(٤) سبتينو موسكاتى: الحضارات السامية - ت د. السيد يعقوب - الألف كتاب الثانى ١٩٩٧ - ص ٢٠١.

والسحرة [١]، وهى نفس نظرة أغلب الباحثين؛ على اعتبار أن أنبياء المعابد، كانوا يستخدمون نفس أدوات المتنبئ والعراف، ومرجعهم فى ذلك قناعتهم بما استقر عليه مؤخرًا من دلالة للنبوة والنبى، وأيضاً الفروق التى وضعتها النصوص التوراتية، للتميز بين أنبياء يهوه وأنبياء البعل، وهو ما دفعهم ـ عن عمد أو عن قناعة برؤيتهم ـ إلى إغفال عدة حقائق، أهمها أن وظيفة النبى فى هذه الفترة، تداخلت مع العرافة والسحر والكهانة، وأن أنبياء التوراة أنفسهم استخدموا نفس الأدوات تحت مسمى المعجزات، النبى موسى سلح بالعديد من هذه الحيل، لإظهار قدراته من ناحية، ولمواجهة نظرائه فى المعابد الفرعونية من ناحية أخرى : «فسأله الرب : ما تلك التى بيدك؟! ، أجاب: عصا، فقال : ألقها على الأرض» .

وبغض النظر، إذا انتقلنا للحضارات القديمة يتبين أن السومريين قد ميزوا بين النبى والعراف والساحر، حيث كان الكاهن من صنف «بارو» Baru هو البصار «الذى كان الملك يستشيره لمعرفة الفأل قبل قيامه بحملة عسكرية، أو عند إسناد ولاية العهد لابنه، وهذا الكاهن البصار يختلف عن الذين يحملون لقب «شاعيلو» : Sh'_ilu، فيظهر من النصوص المسمارية، أنه كان أقل مرتبة من صنف «بارو» السابق، حيث كان مختصاً بتفسير الأحلام [١]، وكان الكاهن البارو يفسر إرادة الآلهة عن طريق

---

(١) ميرسيا آلياد: تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية ـ سابق، ص ١ ص ١٩٩، وانظر: أنبياء العهد القديم: الأب لويس مونلوبو ـ دار المشرق ـ بيروت ١٩٩١ ص ١٤، ومفهوم النبوة عند بنى إسرائيل دراسة مقارنة : علاء عريبى، تحت الطبع.

الحلم، أو التنبؤ بفحص كبد الحيوان، فإذا أراد الملك مثلاً معلومات عن المستقبل دعاه، فيذبح الكاهن قرباناً من الحيوان، عادة من الغنم، ويرد على الملك حسب ما يراه فى كبد ذلك الحيوان، كما كان التنجيم صورة أخرى من صور التنبؤ فحركات الأجرام السماوية واجتماعاتها ولونها، كله يتخذ أساساً للتنبؤ بالحوادث المستقبلية(٢)، ويتضح من النصوص أن وظيفة هذا الكاهن كانت وراثية، حيث كان هو «نسل كاهن مولود من كاهن سليم، والطريف أنه كان يمارس وظيفته عرياناً تاماً، وهو ما أكدته لوحات «نيبور» والأختام الأسطوانية(٣)، وبالنسبة للآلهة فقد كانت تحب أن تظهر فى الأحلام، خاصة عندما يريد أن يفصح عن رغبته فى بناء معبد جديد، ومن أقدم الأمثلة وأكثرها تفصيلاً فى هذا الشأن، الحلم الذى روى تفاصيله «كوديا» أمير سلالة «لكش» الثانية (فى حدود ٢١٢٠ ق.م)، يقول كودياً أن الآلهة «ننكرسو» ظهر له فى الحلم على هيئة إنسان عملاق: «ضخم كأنه السماء، ضخم كأنه الأرض، جزؤه الأعلى يشبه الإله، وله جناحا طائر، جزؤه الأسفل يشبه الإعصار، كان أسد يربض إلى يمينه وآخر إلى شماله، لقد أمرنى أن أبنى معبداً، لكنى لم أفهم مقصده تماماً، وكان هناك عملاق آخر حاضراً، فمد ذراعيه وحمل فى كلتا يديه لوحًا من حجر اللازورد، ورسم عليه مخطط المعبد، ثم جاء بطاسة البناء ووضعها أمامى

---

(١) د. فاضل عبد الواحد على: من سومر إلى التوراة ـ سيناء للنشر ١٩٩٦ ـ ص ٨٠.

(٢) سبتينو موسكاتى : سابق ص ٥٤.

(٣) ل. ديلابورت : سابق ص ١٥٤.

وسوى لى قالب الأجر المقدس [١]، وبعد خمسمائة سنة على كوديا، يذكر الملك البابلى نبونائيد (٥٥٦ _ ٥٣٩ ق.م) كيف أنه هو الآخر جاءه الوحى الإلهى فى الحلم، وأمره ببناء معبد «سين» إله القمر فى حران [٢]، ويذكر أن الإله «إنليل» ملك البلدان، فوض الرجل العظيم «أتو جيكال» ملك «أوروك» الأكدية، أن يحطم اسم «كوتى» أفعى وعقرب الجبال، الذى رفع يده ضد الآلهة [٣] .

وفى مصر لم يختلف الأمر كثيرًا، فيروى أن الكاهن الأعظم فى عين شمس (هليوبوليس) ، كان يدعى : «من يستطيع رؤية العظيم الإله ، وهو اللقب الذى أعادت الأجيال الحالية تفسيره إلى: «أعظم الرائين.. من يستجلون طلعة الإله رع، ثم عرف بـ «فاتح بابى السماء» [٤].

وتشير النصوص إلى أنه فى حالة تعيينهم من غير رجال الأكليروس، بعيدًا عن البكورية لأى سبب ما، كان على الملك أن يؤيد هذا التعيين بنبوة من الإله [٥] ومن أهم النصوص التى وصلتنا عن أنبياء مصر، النصوص التى عرفت تحت عنوان : «نبوءات النبى أبو وير»، فقد مثل هذا النبى أمام الفرعون لكى يقيم له حجم

---

(١) د. فاضل عبد الواحد: سابق ص ٨١.

(٢) السابق : ص ٨٢.

(٣) خزعل الماجدى: الدين السومرى، دار الشرق، عمان، الأردن ١٩٩٨ ص ٢٢.

(٤) د. محمد بيومى مهران: الحضارة المصرية القديمة، دار المعرفة الجامعية، الأسكندرية ١٩٨٩ جـ٢/٥٣٣.

(٥) سيرج سونيرون: الكهان فى مصر القديمة، ت: عيسى طنوس، الأهالى للطبع والنشر بدمشق ١٩٩٤ ص ٨٣.

المصائب، فقال : «هاهى البلاد مجردة عن الملكية من قبل بعض الأفراد غير المسئولين، هاهم الرجال يعلنون العصيان ضد الأفعى الملكية ـ شعار الملك ـ «وانتهى من نبوءته بلوم الفرعون على الفوضى[1]. وبالإضافة إلى الحلم والنبوة وغيرها، أخذ أنبياء المعابد المصرية خطوة أكثر جرأة، حيث أنهم اعتمدوا على معرفة اسم الإله الخفى فى تسخير الوحى، وفى منح البركات، وإلقاء اللعنات، خاصة وأن من يعرف هذا الاسم يستطيع أن : يجعل الأرض تغور فى أمواج الماء، ويصبح الجنوب شمالاً، وتدور الأرض[2]، ويرجع فضل معرفة المتنبئين بهذا الاسم الخفى إلى إيزيس عندما ساعدت الإله رع بشرط معرفة اسمه الحقيقى[3]، ويستمد الاسم قوته مما أسموه «الحكا» القوة التى تستقر فى أسمائهم الخفية [4]، والكاهن فى مصر لم يكن يصل لدرجة النبوة بسهولة، بل كان عليه أن يتدرج فى سلك الكهنوت حتى يصل إلى درجة وظيفة نبى ثالث ، وربما يصل إلى وظيفة النبى الأول بعد أن يتخطى الستين من عمره ، فسجل حياة (باك ـ أن ـ خنسو) النبى الأول خلال حكم «رعمسيس الثانى ١٢٩٢ ـ ١٢٢٥ ق.م» يدلنا على ذلك : لقد كان (باك) ابنا لنبى ثان ، وقد تلقى تعليمه الأول فى مدرسة معبد موت، ومن السنة العاشرة من عمره إلى السنة

---

(١) ميرسيا الياد: ـ سابق جـ ١ ص ١٢٩.

(٢) أرمان: سابق ص ٤٠٢.

(٣) السابق : ص ٤٠٣.

(٤) السابق : ص ٤١٥.

الحادية والعشرين تلقى تعليماً من نوع مختلف نستطيع أن نصفه بأنه عسكرى، إذ أنه ألحق بالإسطبل الملكى، وعقب هذا الاستعداد العلمانى، دخل خدمة «آمون » بصفته كاهناً «وعب»، وبعد أربع سنوات انتقل إلى كهنوت أسمى، ظل فيه أبا للإله لمدة اثنتى عشرة سنة، وفى سن السابعة والثلاثين صار نبياً ثالثاً، وفى سن الثانية والخمسين أصبح نبيًا ثانيًا، وأخيرًا جعل منه «آمون» وهو فى سن الرابعة والستين نبيه الأول، وقد ظل يشغل هذه الوظيفة مدة سبع وعشرين سنة [1]، ويبين لنا أحد النقوش من عهد رعمسيس الثانى، أن الملك كان له أن يبدى رأيه فى اختيار الكاهن الأكبر أو النبى، وهو اختيار كان يرجع من الناحية الرسمية، إلى الإله وحده، ففى السنة الأولى من حكمه ظلت وظيفة الكاهن الأكبر شاغرة، وقد شغلها بنفسه، وأدار حفلة عيد أويت بصفته النبى الأول، ثم شغل باختيار كاهن أكبر جديد، فدعى أمام «آمون» رجال البلاط جميعًا، وأنبياء كل الآلهة، وكبار رجال بيته، وقائد الجيوش، ولكن آمون لم يوافق على واحد بينهم، إلا حينما ذكر الملك اسم «نب - أو ننف» فوافق آمون، وكان نب أو ننف نبيًا أول لاوتوريس، ونبياً أول لحاتحور دندرة ... وقد منح الملك ابن نب أو ننف وظيفة والده فى معبد دندرة [2]، وتشير النصوص أيضاً إلى أن النبى الأول لآمون فى الفترة التى أعقبت موت تحتمس الأول (١٥٠١

---

(١) أرمان : السابق ص ٢٧٩.

(٢) السابق : ص ٢٨٢.

ق.م)، كان رئيساً لكل المعابد، ولكل الأنبياء جميعًا، وهذا النبى كان يدعى «حابو سنب» (١).

ويتضح مما سبق أن الكاهن فى المعابد المصرية، كان يتولى وظيفة النبوة، أو بمعنى آخر كان يتم ترقيته من وظيفة الكهنوت إلى درجة النبوة، عن طريق بركتين ، إحداها من الإله، والأخرى من الملك باعتباره كبير الكهنة، أو الفاتح الأكبر لباب السماء، بعد هذا الاختيار والمباركة يصير نبى المعبد، أو نبى الإله ، المتخصص فى معرفة إرادة الإله ونقلها للملك .

هذه الوظيفة بنفس خطواتها تم توريثها للابن البكر عند بنى إسرائيل، وبركة النبوة حسبما ورد فى النصوص التوراتية، تأتى على نوعين، الأولى إلهية: يمنحها الرب لصاحب العلامات، ويمنحه القدرة على توريثها، كما فعل الرب مع إبراهيم وموسى ... والثانية: من نبى إلى آخر، وفيها يقوم النبى الحالى (شاغل الوظيفة) مباركة القادم (صاحب البكورية)، كما فعل إبراهيم مع إسحاق، وإسحاق مع يعقوب، وكما فعل آليا مع أليشع : «وامسح أليشع بن شافاط من آبل، محوله نبياً خلفاً لك» (٢)، وهذا لا يعنى أن مباركة الرب تأتى بعد مباركة الأب، على العكس فمباركة الرب تلى مباركة الأب، بعد أن يكون الابن البكرى جاهزًا لاستلام حقوق البكورية، يباركه الأب، البركة التى تجعله المقدس أو النبى : «فلينعم عليك الرب من ندى السماء ومن خيرات الأرض، فيكثر لك الحنطة

---

(١) السابق : ٢١٨.

(٢) الملوك الأول ١٩ : ١٦.

والخمر، لتخدمك الشعوب ، وتسجد لك القبائل، لتكن سيدًا على أخوتك، وبنو أمك لك ينحنون ، وليكن لاعنوك ملعونين، ومباركوك مباركين [1].

وبهذا الأسلوب يرث البكورى النبوة من والده ، ويورثها لبكره، طبقًا لقانون الميراث الاجتماعى، وليس بفضل الاختيار والتفضيل الإلهى ، وتدخل الرب هنا تمامًا مثل تدخله فى نبوءات الحضارات الشرقية، للإقرار وليس للاختيار، لإقرار ما اختاره القانون الاجتماعى، قانون البكورى، بعد ذلك يباركه هو ويعقد معه ميثاقاً، وهو ما فعله الرب مع إبراهيم : «أما أنت فاحفظ عهدى، أنت وذريتك من بعدك مدى أجيالهم، هذا هو عهدى الذى بينى وبينك وبين ذريتك من بعدك الذى عليكم أن تحفظوه، أن يختن كل ذكر منكم.. [2]، وقبل أن يعتمد الرب اختيار الأب، يبارك البكرى، ويقوم بتغيير اسمه : ها أنا أقطع لك عهدى، فتكون أبًا لأمم كثيرة، ولن يدعى اسمك بعد الآن إبرام (ومعناه الأب الرفيع) بل يكون اسمك إبراهيم (ومعناه أب لجمهور) [3]، ومحررو التوراة قد كرسوا لتوريث النبوة هذه فى ذرية إبراهيم، من خلال الرب ذاته، إذ قال الرب له : أجعلك أبًا لجمهور من الأمم، وأصيرك مثمرًا جدًا، وأجعل أممًا تتفرع منك، ويخرج من نسلك ملوك، وأقيم عهدى الأبدى بينى وبينك، وبين نسلك من بعدك جيلاً بعد جيل، فأكون إلهًا لك ولنسلك من بعدك، وأهبك أنت وذريتك من بعدك جميع

---

(١) تك ٢٧: ٢٨.

(٢) تك ١٧: ٩.

(٣) تك ١٧: ٤.

أرض كنعان، التى نزلت فيها غريباً، ملكاً أبدياً ، وأكون لهم إلهاً (١)، وهذا ما تم بالفعل، حيث تم توريث النبوة من بكر لبكر، واعتمد إله بنى إسرائيل الاختيار الاجتماعى، واختار لإبراهيم اسمه بالتغيير، واختاره لإسحاق : «إن سارة زوجتك هى التى تلد لك ابناً وتدعو اسمه إسحاق (ومعناه يضحك) وأقيم عهدى معه ومع ذريته من بعده عهدا أبدياً (٢)، وفعل نفس الشىء مع يعقوب، لكن تحت ضغطِ من سارق البركة، بعد أن استخدم يعقوب سحره، وسرق ماشية خاله، أخذ زوجاته وأولاده وفر عائدًا إلى بيت والده، فى الطريق : صارعه إنسان حتى مطلع الفجر، وعندما رأى أنه لم يتغلب على يعقوب، ضربه على حق فخذه، فانخلع مفصل فخذ يعقوب فى مصارعته معه، وقال له : أطلقنى، فقد طلع الفجر؟، فأجابه يعقوب : لا أطلقك حتى تباركنى، فسأله : ما اسمك ؟، فأجاب: يعقوب، فقال : لا يدعى اسمك فى ما بعد يعقوب، بل إسرائيل (ومعناه : يجاهد مع الله) ، لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت، فسأله يعقوب : أخبرنى ما اسمك ؟، فقال : لماذا تسأل، وباركه هناك، ودعا يعقوب اسم المكان فنيئيل (ومعناه : وجه الله) إذ قال : لأنى شاهدت الله وجها لوجه وبقيت حيًا (٣).

الكهنوت :

فى العبرية استخدمت كلمة «كاهن» ، أو«كوهين»، و«كوهانيم»،

---

(١) تك : ١٧ : ٥.

(٢) تك ١٧ : ١٩.

(٣) تك ٣٢ : ٢٤.

للإشـارة إلى وظيـفـة دينيـة، حيث وردت فـى القـوامـيس بمعنى : سدنة، ورتبة، ومنصب ، ووظيفة ، وخدم [١]، وهـى ليست عبـرية الأصـل [٢]،ويرجح أنها اشتقت من كلمة «كن» بمعنى يقف، إشارة إلى وقوف الكاهن أمام الله، أو ممثلاً لله أمام الشعب[٣].

تشير النصـوص التوراتية إلى أن هذه الوظيفـة ، قبل مـوسى، كانت تورث من بكر إلى بكر، حيث أنها كانت ضمن حقوق البكورية، إذ يتبين من النصوص أن رب الأسـرة كان كـاهنـا، بمعنى أن هذه الوظيفة كانت عبارة عن كهنوت عائلى، يقوم فيها الأب ببناء المذبح، إبراهيم بنى أول مـذبح للرب فـى سـهل مـورة بشكيم : «فـبنى إبرام هناك مـذبحًا للرب الذى ظهـر له [٤]، وبنى الثـانى فى سـهل ممرًا بحبرون : «وهناك شيد للرب مذبحًا [٥] وفى بئـر سبع بنى إسحاق مـذبحاً : «فشيد إسحاق هناك مذبحًا ودعا باسم الرب [٦]، وفــى طريق بئـر سـبع / حـاران رأى يعـقـوب الرب فى الحلم ليـلاً، فى الصبـاح : «أخذ الحجـر الذى توسده ونصبه عمودًا وصب عليه زيتا ودعا المكان بيت إيل (ومعناه بيت الله)، وكان اسم المكان أولاً لوز[٧]،

---

(١) ديفيد ساجيف: سابق جـ ١ ص ٧٢٦، شلومو ألون: سابق ص ٣٥٢.

(٢) جرهاردوس فوس: سابق ص ٣١٥.

(٣) دائرة المعارف الكتابية: سابق، مادة : كهن.

(٤) تك ١٢ : ٧.

(٥) تك ١٣: ١٨.

(٦) تك ٢٨: ١٨.

(٧) تك ٢٨: ١٨.

وبعد عودته من بيت خاله ومصالحته لشقيقه عيسو، نصب خيامه فى طريق سهل آرام أمام مدينة شكيم : وشيد هناك مذبحًا دعاه إيل (ومعناه إله إسرائيل) [1]، والنص الوحيد الذى يشير للكهنوت العائلى، والذى كان يقوم به الأب أو البكرى، ما قام به يعقوب فى بيت إيل : أمر يعقوب أهل بيته، وكل من كان معه : تخلصوا من الآلهة الغريبة التى بينكم، وتطهروا وأبدلوا ثيابكم، ثم تعالوا لنذهب إلى بيت إيل لأشيد هناك مذبحًا لله الذى استجاب لى فى يوم ضيقى، ورافقنى فى الطريق التى سلكتها، فسلموا يعقوب كل الآلهة الغريبة التى كانت لديهم والأقراط التى فى آذانهم، فطمرها يعقوب تحت البطمة التى فى شكيم، ثم ارتحلوا، فهيمن رعب الله على المدن التى حولهم، فلم يسعوا وراءهم، فوصل يعقوب وجميع القوم الذين معه إلى لوز فى أرض كنعان، وهى نفسها بيت إيل، وشيد مذبحًا هناك، ودعا المكان بيت إيل؛ لأن الله تجلى له هناك عندما كان هارباً من أمام أخيه[2]، وبعد أن عاد ظهر له الرب فى سهل آرام، وهناك أقام يعقوب عمودًا من حجر فى المكان الذى تكلم فيه معه، وسكب عليه سكيب قربان وصب عليه زيتاً أيضًا، ودعا المكان بيت إيل

(ومعناه بيت الله) لأن الله خاطبه هناك[3] .

---

(١) تك ٣٣: ٢٠.

(٢) تك ٣٥:٢.

(٣) تك ٣٥: ١٤.

كما تشير النصوص التوراتية إلى الذبائح التى كانوا يقدمونها، إبراهيم قدم ابنه إسحاق محرقة للرب كعادة الكنعانيين، وفى آخر لحظة تم استبداله بكبش، وإذ تطلع إبراهيم حوله رأى خلفه كبشاً قد علق بفرع أشجار الغابة، فذهب وأحضره وأصعده محرقة عوضاً عن ابنه [١]، وعندما لحق لابان يعقوب قبل فراره، ضرب صلح بينهما، ثم قدم يعقوب قربانًا فى الجبل ودعا أقرباءه ليأكلوا طعاما[٢]، وفى طريقه إلى مصر لملاقاة ابنه يوسف قام يعقوب عند بئر سبع، فقدم ذبائح إلى إله أبيه إسحاق [٣]، وكما هو واضح من النصوص، فإن البكورى هو الذى يقوم بالصلاة، أو تقديم الذبائح للرب نيابة عن الأسرة، وهذا باعتباره الأب ورب الأسرة، وهذه الوظيفة الكهنوتية العائلية، كان الابن البكر، أو وارث البكورية هو الذى يقوم بها، بعد تسلمه حقوق البكورية، خاصة البركة، عند عجز والده أو غيابه أو فى حالة وفاته.

بالإضافة إلى هذا الكهنوت العائلى، أدخل موسى الكهنوت النظامى أو الوظيفى، وقد جعله وراثيًا، مثل نظيره فى الحضارات السابقة له، ويتضح من النصوص التوراتية أنه قام بحصر هذه الوظيفة فى عائلته وسبطه (اللاويين)، إذ قام بتقسيم الكهنوت إلى ثلاث مراتب، الأولى : خاصة برئيس الكهنة وشغرها هارون شقيقه، والثانية: للكهنة وتولاها أولاد هارون، والثالثة : الخدم؛

---

(١) تك ٢٢: ١٢.

(٢) تك ٣١: ٥٤.

(٣) تك ٤٦: ١.

خـدم بيت الرب، وهم الـلاويين: وأفـرز لـى هارون أخـاك وأولاده؛ ناداب وأبيهو وألعازر وإيثامار، من بين بنى إسرائيل ، ليكونوا لى كـهنـة [1]، واشترط فى رئيس الكهنة واتباعه أن يكون خالياً من العيوب، وألا يتزوج من أرملة أو مطلقة أو زانية، بل يتخذ عذراء، ولا يكشف رأسه، ولا يشق ثيابه ، ولا يمسك جثة ميت، وأن يكون طاهراً بشكل دائم [2] ومن أجل تفرغهم لخدمة الرب فى خيمته، خصصت الشريعة الموسوية لهم حصصاً من الأرض والتقدمات والضرائب، كما خصصت لهم باكورات المحاصيل الزراعية، وجزءًا من غنيمة الحرب، على أن يكون الابن البكر من ذرية هارون هو رئيس الكهنة فيما بعد، يتوارثها بكر بعد آخر[3].

وهذا النظام الكهنوتى لم يختلف كثيرًا عما كان سائدًا فى الحضارات الشرقية القديمة، ففى الحضارة الكنعانية، بلغت الكهانة فى تطورها مرتبة عالية بعض الشىء، لكنها لم تبلغ من التنظيم حدًا يمكن مقارنته بما بلغته الكهانة فى مصر وبلاد الرافدين [4]، وأطلق على الكهنة لقب رب : بمعنى رئيس، ويدخل العرافون فى عداد الكهنة [5] كما عرف الكهنوت الكنعانى سدنة المعبد، والنساء النادبات ، والبغايات المقدسات، وكانت هناك عادة

---

(١) خروج ٢٨ :١.

(٢) اللاويين ٢١: ١٠.

(٣) زكى شنودة: المرجع السابق ص ١٢٨.

(٤) موسكاتى: سابق ص ١٢٩.

(٥) جـ. كونتتو: سابق ص ١٣٩.

أخـرى تتم عن مـسـتـوى دنـىء منخـفض، هـى زنـا الطقـوس، وهذه العـادة كانت جزءًا من عـبادة الخصوبة، وقد بطل استعمالها فيما بعـد بفـضل تطـور الدين[1]، وبجـوار هـؤلاء خـصص عـدد كبيـر من الخـدم وأولهم الحـراس، ويقـابلهم اللاويين عـنـد العـبـرانيـين، وأهل الحـرف، ومنهم الحـلاقـون المقـدسـون، المكلـفـون بحـلـق شـعـر مـن يريد تقديم شعره للآلهة، والراجح أيضاً أن الحلاقين كانوا يقومون بالنتف أو الحلق التام اللازم لأداء بعض فروض العبادة، وبشكل عام ظـلـت الـوظائف الكهنوتيـة وظائف شـرفيـة، مـوقـوفـة على بعض الأسر [2].

وكمـا كانت الكهانة وراثية فى النظام الكنعانى، كانت أيضاً فى المعـابد المصرية، ويبين هـذا مـا كـتبـه أحد كهنة الأسـرة التـاسـعـة عـشـرة: «إننى الكاهن الأكـبـر لآمـون ... أصبح ابنـى كـاهنـاً ثانيـاً لى، وسـوف يمنح حـفـيـدى منه ألقـاب الكاهـن الرابع لآمـون، والأب المقدس، والقس، لقد تعطف الملك وقـرر بعـد مـا تبـين له أن أبنائى قـد انحـدروا من صلبى ، أن يعـينهم كـهنة يـعـملون تحت رعـايتـه السـامـيـة [3]، وكانت الكهانة أيضاً عـدة أنواع، منهـا الكاهن الأول، يليـه طبـقـة من الكهنة الـصـغـار، يطلق عليـهم المطهـرون، يمـكن استـدعـاؤهم فى المعـابد الفـقـيـرة للقيام بالطقـوس الدينيـة، أما فى المعـابد العظمى فيقومون بأعمال أقل، وغالباً مـا كانوا مـجرد خدم

(١) موسكاتى: السابق ص ١٢٩.

(٢) كونتنو: السابق ص ١٣٩ .

(٣) فلندرز بترى : سابق ص ٢٢٢.

بالمعبد ومنهم الأخصائيون، وكانوا عادة كتبة يعيشون فى بيت الحياة ينسخون الأدب المقدس، ويتلونه أحياناً بصوت عال فى الاحتفالات المهمة[1]، وفى طقوس الصلاة بأبيدوس كان الكاهن يبدأ الصلاة بحرق البخور فى قاعدة الأعمدة ويقول : «لقد صعدت إليك ... وطهورى فوق يدى.. أنا كاهن وابن كاهن هذا المعبد... أنا كاهن قد حضرت لأعمل ما يجب على المرء عمله ولم أحضر لأعمل ما يجب على المرء عمله ولم أحضر لأعمل ما لا ينبغى عمله... ثم يتقدم إلى مقصورة الإله ليحل رباطها بقوله : سيرخى الرباط، ويحل المقبض حتى يجتاز الباب، لقد طرحت أرضاً كل الشرور التى علىّ .. وبعد أن يفتح الباب، يبدأ بتبخير حية الأوريوس المقدسة بالطيب، وهى التى تحمى الإله، يحييها بجميع اسمائها ثم يدخل قدس الأقداس ، ويقول : سيزدان عرشك وتعلو حصيرتك (أى توضع على العرش) وتسمو أرديتك، ويقف عظماء آلهة السماء أمامك، الذين يأتون من السماء وينزلون من السماء وينزلون من الأفق ليسمعوا صوتك، ثم يقترب من المقعد الكبير، الذى يقوم به تمثال الإله، ويقول : سلام على الإله، الروح الحية التى تقهر أعداءها، إن روحك معك ، وعصاك إلى جانبك وأنى لطاهر، ثم يبدأ فى إلباس الإله فيضع يديه عليه، يرفع الأصباغ القديمة، وينزع أرديته السابقة كل ذلك مصحوباً بصيغ معينة، ثم يلبس الإله الرسمى (نمس) وهو يقول الثوب الأبيض يحضر، الثوب الأبيض

---

(١) معجم الحضارة المصرية: جورج بوزنر وآخرون، ت: أمين سلامة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٦ ص ٢٨٥: ٢٨٨.

يأتى، عين حورس البيضاء تأتى التى خرجت من الكاب، إن الآلهة يلبسونك إياه باسمه هذا الرداء، وتزينك الآلهة به باسمه هذا (حلية) ثم يلبس الكاهن الإله الرداء الكبير، ويجمله بالأصباغ ويزوده بشارته: الصولجان، وعصا الحكم والسوط والخلاخيل، والريشتان اللتان يضعهما فوق رأسه [١].

وفى العراق تعدد الكهنة فبلغوا الثلاثين صنفاً، منهم الكاهن الكبير، ويسمى «إين» أى السيد[٢]، وكان عليه إدارة شئون المعبد، ويرأس جميع طبقات الكهنة، وهناك طبقات تتولى التطهير الدينى، ومنهم من كان يخصص فى الأعمال الإدارية، ومن اختص بالسحر والعرافة، ومنهم المغنون والمرتلون، إلى جانب هؤلاء طبقات من الكاهنات، وكذلك البغايا المقدسات [٣]، وجعل الحكام الإشراف الفعلى فى الكهنوت لأبنائهم وكبار أعوانهم[٤]، فقد اختير ابن «أور انجور» خلال حكم أبيه للكهنوت، اختاره المعبود كاهنا أكبر للآلهة «عشتار»، وقد ظل «ننجوسو بن جوديا «كاهنا» لأنو ونينا حتى بعد أن زالت عنه صفة إيشاكو لجش[٥] .

---

(١) هرمان رانكة وأدولف أرمان: مصر والحياة المصرية فى العصور القديمة، ت: د: عبد المنعم أبو بكر، ومحرم كمال، النهضة المصرية ص ٢٩٥.

(٢) خزعل الماجدى : سابق ص ٣٣.

(٣) طه باقر: مقدمة فى تاريخ الحضارات القديمة جـ ٢ ص ٢٢٦.

(٤) د. عبد العزيز صالح: الشرق الأدنى القديم ٣٩٧/١.

(٥) ل. ديلا بورت : سابق ص ١٥١.

واشترط على الكهان سواء فى مصر أو العراق أو فلسطين، عدة شروط، شملت أنواعًا معينة من الأقمشة للملبس، والطهارة، وغيرها حسب كل دولة، على سبيل المثال كان على الكهنة فى المعابد المصرية أن يغتسلوا مرتين فى كل يوم، ومرتين أثناء الليل للمحافظة على الطهارة، كما كان عليه أن يحلق شعره تماماً ويجب أن يختن، والكف عن الاتصال الجنسى أثناء مدة خدمته بالمعبد، وألا يلبس غير الثياب المصنوعة من التيل الرفيع ، ولا يرتدى الصوف أو الجلد الذى أخذ من حيوان حى، كذلك كان عليه أن يتعلم العلوم اللاهوتية للقيام بواجبه [١]. وعاش الكهنة على التقدمات التى كانوا يتزودون بها، وكذلك الهدايا وعلى ريع الأرض الموقوفة لصالح المعبد [٢] .

نخلص مما سبق أن الكهنوت كان وظيفة وراثية، تنقل من بكر إلى بكر، سواء بين كهنة المعابد فى الحضارات الشرقية القديمة، أو فى كهنوت بنى إسرائيل، واتضح أنه بدأ فى بنى إسرائيل عائليًا، ثم تطور على يد موسى إلى وظيفة، تم توزيعها على سبطة اللاويين.

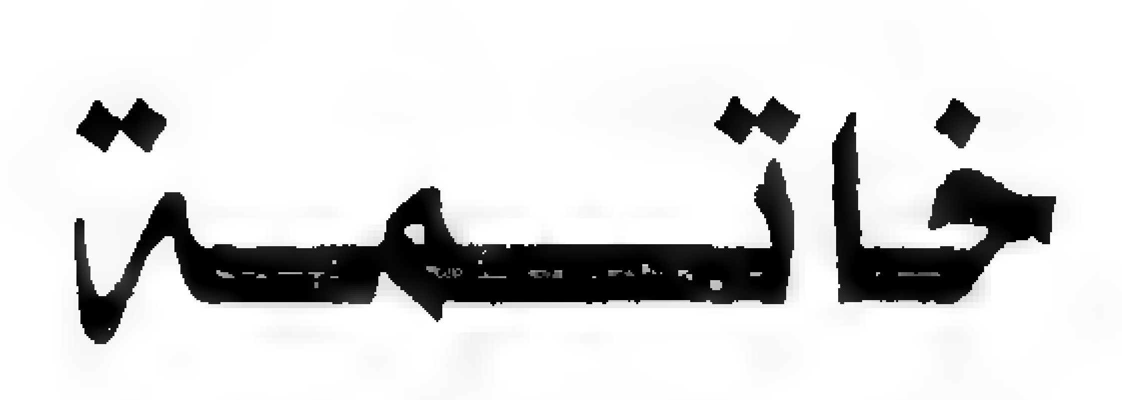
وعلى أية حال، فقد اتضح خلال المبحث، أن الثمرة الحقيقية للبركة فى أنها الدرجة التى من خلالها يرث البكورى القداسة، المتمثلة فى النبوة والكهنوت، تمامًا كما كان يحدث فى الحضارات الشرقية القديمة، إذ تبين من الشواهد الأثرية أن البكر كان يرث

---

(١) معجم الحضارة المصرية: سابق ص ٢٨٥.

(٢) السابق ص ٣١٠.

وظيفة الكهنوت وكذلك النبوة، وأن هذه الوظائف كانت تنقل من بكر إلى بكر، برضاء الملك وبمباركة من الرب، وهو ما كرس له محررو النصوص التوراتية داخل الديانة العبرية، إذ تبين أن القيمة الحقيقية للبكورية، فى توريث البكورى وظيفتى النبوة والكهنوت.



خاتمة

أظن أنه بات من الواضح، أن البكورية أو حقوق البكورية، هى امتيازات تمنح للابن البكر ، أو بمعنى آخر هى أدوات يورثها الأب لابنه البكر، هذه الأدوات تتمثل فى أداتين، إحداها أطلقنا عليها التركة، والثانية: البركة، الأداة الأولى تتضمن شقًا ماديًا، يقوم فيه الأب بتوريث البكرى النصيب المميز من تركته الثابتة والمنقولة من بيوت وماشية وأموال، وهذا النصيب المميز، لم يكن محدداً فى تركة الأباء؛ إبراهيم وإسحاق ويعقوب، وحدد بنصيب اثنين فى الشريعة الموسوية، حيث اتضح من النصوص أن إبراهيم ورث إسحاق كل ماله، وأعطى أولاده من سراريه عطايا منها وصرفهم بعيداً عن ابنه البكرى، وإسحاق كان قد ورث بكره عيسو حقوق البكورية، لكنه تنازل عن حقه فى التركة ليعقوب شقيقه مقابل وجبة عدس، ولم يتضح من النص .. هل كان سيرث نصيبًا مميزًا أم كل التركة، وبالنسبة لتركة يعقوب فقد قام بتوزيع حقوق البكورية على رأوبين وشمعون وعلى حفيديه من يوسف، وقد تبين من هذا

العرض، تمييز النصوص بين الابن البكورى والابن الأكبر، حيث قام إبراهيم باستبعاد إسماعيل مع أنه ابنه الأكبر، وذلك لأنه كان من سرية وليس من الزوجة الرئيسية العبرية، وهو ما يعنى أنه ليس كل ذكر بكر يصلح أن يكون البكورى، فمن أهم شروط منح البكورية أن يكون من والدين عبريين، وتبين من توزيع تركة يعقوب، أنه فى حالة تعدد الزوجات، تُمنح الامتيازات لأول ذكر من زوجة رئيسية، وليس لكل ذكر مفتتح رحم من كل زوجة، وفى حالة الغضب على الابن والتنكير فى حجب الامتيازات عنه، يتم منح هذه الامتيازات للابن الذى يليه فى العمر، وليس للبكرى من زوجة أخرى، بمعنى أن الامتيازات تُمنح للأكبر فى السن سواء كان بكورى أو غير بكورى، فعندما عاقب يعقوب بكره رأوبين ، قام بإشراك شمعون شقيقه معه، ولم يشارك بكره من زوجة أخرى، وذلك لأن شمعون كان أكبر فى السن من أبكاره من زوجاته الأخريات، ولو كان بكره من زوجة أخرى أكبر من شمعون سناً، أظن أن يعقوب كان سيشركه مع رأوبين، قد يظن البعض أن يعقوب شارك شمعون، ليس لأنه الذى يليه فى السن، بل لأن بكره التالى كان من سرية وكذلك بكره الثالث، والرابع، ويوسف ، كان مفقودًا، وهذه القراءة إلى حد ما صائبة، على اعتبار أن إبراهيم حجب تركته عن أولاده من سراريه، ومنحها إلى إسحاق، لكن لو عدنا لنص بركة يعقوب، نجد أنه قد أعترف ضمنيا بأولاده من سريتيه، حيث أنه قام بمنح بركته لكل أولاده، وهذا التصرف أظن أنه كافٌ للرد على ما زعمه جيمس فريزر، وهو يهودى الديانة والهوية، فهو على سعة علمه، عندما قرأ واقعة سرقة يعقوب للبركة، أكد أن يعقوب كان يعيد بقايا قانون

قديم، كان متبعًا بين العبريين القدماء، وهذا القانون اسماه : قانون الابن الأصغر، طبقًا لهذا القانون، يقوم الأب بتوريث تركته أو النصيب المميز منها إلى أصغر أولاده، وذلك على حد تأكيد فريزر لأنه ابن شيخوخته ، والذى سيظل فاتحًا للبيت من بعده (١)، وقد أخذ بهذا الرأى بعض الباحثين (٢)، وأشار إليه محررو الموسوعة اليهودية (٣)، وزعم جيمس فريزر هذا ليس له أساس من الصحة لأسباب عديدة، أهمها أن العبريين؛ قد نزح رئيسهم - حسب النص التوراتى - من أور الكلدانيين، وهى مدينة عراقية تقع على بعد ١٩٠ كم عن مدينة البصرة، وكشف عنها تايلور E.J. Taylor القنصل البريطانى فى البصرة عام ١٨٥٤ م، وتشير الحفريات إلى إنها ترجع للألف الثالثة قبل الميلاد، وظلت محتفظة بأهميتها إلى القرن السابع قبل الميلاد(٤)، وهو ما يعنى أن إبراهيم عراقى الأصل والثقافة، كما إن النصوص تشير إلى ارتحال إبراهيم من أور إلى حران، وهى أيضًا من المدن الشامية وتقع على نهر بلخ على بعد ٦٩ ك من اتصاله بنهر الفرات وكانت مركزا للآراميين(٥)، وهذه

---

(١) الفولكلور فى العهد القديم، ت : د. نبيلة إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٢جـ٢ صـ٣٧٣ : ٤٢٧ .

(٢) د. سوزان السعيد يوسف: المراة حقوقها وواجباتها: سابق صـ ٢٥٨، و goiten, S.d.Jewand arals. schcken. books, new york 1964 - 1970, p 40

(٣) The Jewish encyclopedia

(٤) د. محمد بيومى مهران: المدن الكبرى فى مصر والشرق الأدنى القديم، دار المعرفة الجامعية ١٩٩٩ جـ٢ ص ١٩٤ .

(٥) السابق : ص٢٩٠، وأطلس الكتاب المقدس: كارل راسموسن، ت: إدوارد وديع عبد المسيح، دار الثقافة، القاهرة ٢٠٠١ ص ٣٤٧ .

الحضارات ـ كما وضحنا سابقًا ـ أخذت بنظام الابن البكر، ولم يثبت لنا علميًا حتى الآن، أنها عرفت نظام الابن الأصغر، وكل الشواهد الأثرية التى وصلتنا من هذه الحضارات ، أشارت إلى تمييزها للابن البكر فى اللاهوت والكهنوت والنبوة ونظام الحكم وداخل الأسرة، وأكدت الشواهد الخاصة بنظام الميراث، أنه كان يحصل على نصيب مميز من تركة والده، كما أن فريزر على سعة علمه، لم يستطع إثبات زعمه هذا بالإشارة إلى الفترة التى طبق فيه هذا النظام، كما أنه لم يشر ضمن الشواهد التى أوردها لنظام الابن الأصغر، شاهدًا واحدًا لقبيلة أو بلدة أخذت بهذا النظام قبل الميلاد، بل كانت كل شواهده عن قبائل عاشت بعد الميلاد بمئات السنين .

هذا عن الشق المادى من الأداة الأولى لأدوات البكورى، وبالنسبة للشق النفسى لنفس الأداة، فقد اتضح من النصوص فى المبحث الخاص بالتركة، أن البكورى كان يرث مكانة والده بين أفراد الأسرة وأمام المجتمع، وكذلك أمام الرب، تمامًا كما كان يحدث فى الحضارات القديمة، على اعتبار أنه فاتح بيت أبيه، فكان على البكورى أن يقوم مقام الأب نحو أشقائه الصغار، سواء بالراعية أو الإنفاق عليهم حتى انتقالهم بالزواج، كما كان عليه أن يقدم الأضحية والصلاة للرب نيابة عن الأسرة، وهو ما كان يطلق عليه بالكهنوت الأسرى، وقد بينا هذا عند الآباء وفى الحضارات الشرقية القديمة.

أما الأداة الثانية من أدوات البكورية، وهى الأداة الروحية، أو البركة واللعنة، فقد اتضح أنها مجرد صيغ سحرية، تنقل إلى الأب البكورى من الرب، وهذه الصيغ منها الخير ويسمى البركة، ومنها السيئ أو الشرير ويسمى اللعنة، واتضح من استعراضنا لصيغ البركة، أنها فى مجملها صيغة شفوية تعطى البكورى سلطة قدسية بين أفراد أسرته وأمام القبيلة أو المجتمع الذى يعيش فيه، ومنها ما جاء فى صياغة شكر أو الوعد بالخير أو التسيد، وأهمها الصياغة الخاصة بتوريث النبوة، أما اللعنة فهى مجموعة من الصيغ التى تضم سائر أنواع السب، والحقد، والكره ، والتحقير من شان الملعون والحط منه، يتمنى فيها اللاعن الموت للملعون، أو العمى أو الجنون.

هذه الصيغ يقوم الأب بتوريثها للبكورى قبل وفاته، وهى تخرج من الأب مرة واحدة ولا يمكن ردها خاصة البركة، إذا خرجت فى غير محلها، وتبين أيضا أن الإنسان الذى تمت مباركته لا يمكن لعنه، وأن الإنسان المبارك ينال الخير والسعة والثراء، واتضح أيضاً أن لهذه الصيغ، خاصة التى تتضمن اللعنات، تأثيرًا إما فورى بعد نطقها، أو مؤجل لحين ، وأن إلقاء الصيغ يأتى فى مشهد مسرحى، يقوم البكورى خلال إلقائها ببعض الطقوس، وقد أشرنا إلى هذه الصياغات فى حضارات الشرق الأدنى القديم، وإلى أنواعها ومصادرها وتأثيرها، وكيفية استخدامها، ووظيفة مستخدميها، وكيفية انتقالها لهم، سواء من الرب صانعها ومستخدمها الأول، أو من ابنه الملك، أو من الكهنة .

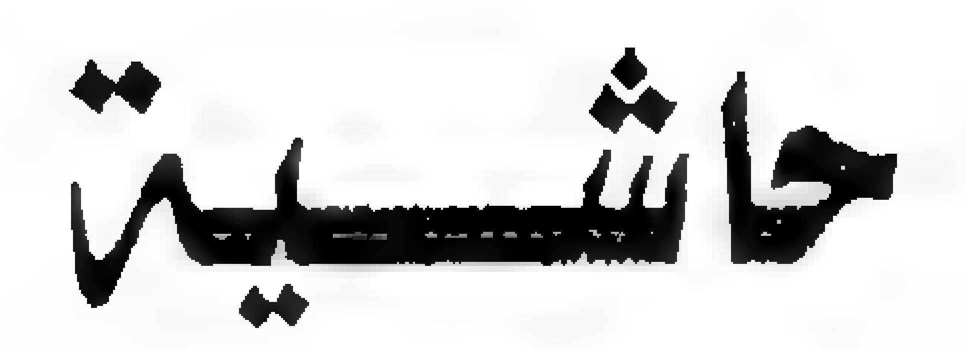
وأشرنا فى المبحث الخاص بالثمرة، إلى أن أهمية حقوق البكورية لا تكمن فى أن البكورى سوف يرث نصيبًا مميزًا، أو سلطة الأب ودوره داخل الأسرة وأمام المجتمع، أو فى الصيغ السحرية التى تجعله مقدسًا ويستطيع من خلالها التسيد وقهر عدوه، وتكوين ثروة كبيرة، بل أن أهميتها تعود إلى صياغة البركة التى تورث البكورى النبوة والكهنوت، إذ تبين من خلال المبحث، أن الميراث الفعلى للبكورى كان فى توريثه الوظيفة التى تجعله على اتصال بالرب، والحصول على بركته، والقدرة على مباركة ولعنة الآخرين، فقد اتضح أن إبراهيم بكر والده، تلقى بركة الرب، وقد تضمنت بركته الصيغة التى يتم من خلالها أنتقال النبوة منه إلى أولاده، وبالفعل ورثها لبكره إسحاق وحدثت ظهورات إلهية له، وتحدث مع الرب وحصل على بركته، وحدث نفس الشىء مع يعقوب، وتبين أن الرب كان إما يقوم بتغيير اسم البكورى لكى يؤهل للنبوة؛ وهو ما حدث مع إبراهيم ويعقوب، أو يطلق عليه الاسم قبل ولادته، مثلما حدث مع إسحاق، وهذا ما كان يحدث مع أنبياء وملوك الحضارات القديمة، حيث تشير الشواهد التى وصلتنا إلى أن الملوك كانوا يضيفون اسم الرب إلى أسمائهم عند اعتلاء العرش، واتضح أن موسى تم تأهيله للبكورية، بأن جعل الرب من جميع بنى إسرائيل ابنه البكر، كما أن ابنة الفرعون، وهى ابنة إله أو ابن الإله، هى التى اختارت لموسى اسمه، وبعد تولى موسى النبوة، قام بحصر الكهنوت فى أسرته، حيث تولى شقيقه الأكبر هارون رئاسة الكهنوت، وجعل خدمة بيت الرب (المعبد) فى قبيلته

أو سبطه اللاويين، كما قام بحبس الصيغ السحرية فى يد رئيس الكهنوت، وهو ما كان سائدًا فى مصر والعراق وكنعان .

واتضح أيضًا أن رب موسى قام بتقويض نظام البكورية الذى كان قائما فى مصر ، بضربه كل بكر فى مصر، من إنسان وحيوان ونبات، وأنه قام بتدشين هذا النظام بكل بنوده بين بنى إسرائيل، إذ خصص لنفسه، مثل إله المصريين، كل مفتتح رحم، من الإنسان والحيوان والنبات، على أن يفدى أبكار سائر الأسباط أبكار قبيلة موسى اللاويين، وذلك بأن يكون منهم الكهنة والخدم للبيت، والثابت لنا من الشواهد الأثرية التى وصلتنا، أن الآلهة فى العراق ومصر وكنعان، كانوا يحصلون على هذه الأبكار كتقدمة وأضحية، خاصة بكور المحاصيل، وأبكار الحيوانات، وتبين أن «إيل» إله الكنعانيين كان لا يقبل فدية الذكور من البشر، وأشارت الشواهد إلى أن الكنعانيين كانوا يقدمون أبكارهم أضحية للرب فى حالات الخطر، وقد طلب من إبراهيم تقديم بكره، وبالفعل هم إلى ذبحه على مذبح الرب .

خلاصة القول إن حق البكورية أو امتيازات البكورية، كانت الميراث المادى (التركة) والروحى (البركة)، وأن الثمرة الحقيقية لهذا الميراث أو الامتياز، هو توريث النبوة والكهنوت للبكورى، وأن هذا النظام أو القانون، كان عرفًا أو قانونًا شرقيًا فى الأساس، أخذت به الحضارات البابلية والفرعونية والكنعانية والفينيقية والحيثية، قبل مئات السنوات من ظهور بنى إسرائيل كجماعة أو

كأسباط أو كشعب الله المختار، حتى أن بقايا هذا القانون مازالت لليوم فى المجتمعات العربية، ولليوم يطلق على مفتتح الرحم من الذكور البكرى، ومازال هذا البكرى هو الذى عليه أن يرث وظيفة الأب داخل الأسرة، عليه رعاية الأم والأشقاء حتى تزويجهم، وعليه أن يمثلهم أمام المجتمع، وعلى أشقائه أن يعاملوه معاملة الأب فى الاحترام والطاعة، كما أن أغلب نظم الحكم الملكية التى كانت ومازالت سائدة فى بعض البلدان العربية والأوروبية، تقوم على توريث الابن البكر، هذا القانون قام محررو التوراة بنقله إلى النصوص التوراتية، بل نستطيع القول بأنهم قاموا بصياغة النصوص التوراتية من خلال هذا النظام، أو القول بأنه حجر الأساس الذى شيد عليه محررو التوراة الأسفار جميعها .


حاشية

كتاب

المواريث

مواريث الابن البكر

تأليف

سعديا سعيد الفيومي

المعروف بـ سعديا بن جاؤون

نقله للعربية

حاى بن شمعون

القاهرة ١٩١٢

ننشر فى هذه الحاشية المواد الخاصة بتوريث الابن البكر، من كتاب المواريث للحاخام والفيلسوف اليهودى المصرى سعديا سعيد الفيومى، المعروف بـ «سعديا بن جاؤون»، وقد ولد سعديا فى مدينة الفيوم عام ٢٦٩ هجرية الموافق ٨٨٢ ميلادية، وتوفى عام ٣٣١ هجرية الموافق ٩٤٢ من الميلاد، وتشير المراجع إلى أنه ترك زوجته وأولاده فى مصر وهاجر إلى فلسطين، ومنها إلى العراق، وقام بكتابة مؤلفاته هناك، ومنها كتاب المواريث الذى ننشر منه فى هذه الحاشية، النصوص الخاصة بمواريث الابن البكر، ولسعديا الفيومى العديد من المؤلفات، منها شرح سفر الأمثال، وترجمته للتوراة من العبرية إلى العربية، والأمانات والاعتقادات، ويعد سعديا من أول العلماء الربانيين الممثلين للفكر اليهودى، الذين تأثروا بفكر فرقة المعتزلة [١]، ولكتاب المواريث نسخة مخطوط واحدة، حسب

---

(١) على سامى النشار وعباس أحمد الشربينى: الفكر اليهودى وتأثره بالفلسفة الإسلامية، منشأة المعارف بالأسكندرية ١٩٧٢ ص ٢١، ود. عبد الرازق قنديل: الأثر الإسلامى فى الفكر اليهودى، دار التراث بالقاهرة ١٩٨٤ ص ١٧٩.

تأكيد حاى بن شمعون، فى جامعة أكسفورد، وقد تم تحقيقها وترجمتها إلى اللغة الفرنسية سنة ١٨٩٧ م [١]، وقد أعطى حاى بن شمعون أرقامًا لمواد سعديا الفيومى، وتبدأ المواد الخاصة بالابن البكر من المادة رقم ٤٩١ وحتى المادة ٥٢٩، وتحتل الجزء الثانى من كتابه الأحكام الشرعية فى الأحوال الشخصية للإسرائيليين، من صفحة ١٨٧ وحتى صفحة ١٩٨، ولاتمام الفائدة ننشر الجزء الخاص بميراث البكورى من مقدمة حاى بن شمعون، قبل أن ننشر المواد الخاصة بالبكورى للفيلسوف المصرى والحاخام اليهودى سعديا الفيومى، قال حاى بن شمعون :

ميراث الذكور بعضهم مع بعض، فإنه يجب أن يقسم المال بينهم بالسوية مالم يكن بينهم بكر، فإن البكر يأخذ سهمين، وهذه حدود البكر، أن لا يكون ولد لأبيه قبله شىء، وعلى أن أمه قد ولدت عدة أولاد لرجال كثيرين لم يبال، وكذلك أيضاً إن كان لأبيه حبل قبله، ثم سقط لم يضره شىء بل هو بكر، أن ولد ذكران فى وقت واحد، فالتصديق للقابلة أن تعرف أيهما البكر، وهو الذى تظهر جبهته إلى نسيم العالم قبل أخيه، فإن كان كذلك فهو البكر، فإن جاز ذلك الوقت لم تصدق القابلة، وصار التصديق للأم، فإن ميزا فى ذلك الوقت ثم اختلطا كيف حيلتهما حتى يأخذوا حظ البكورة، وأما إن جاء كل واحد منهما يطالب بنفسه، فالأخوة يدفعونه ويقولون له : أثبت أنك بكر وخذ، ولكن الوجه فى ذلك أن يوكل واحد منهما

---

(١) حاى بن شمعون: الأحكام الشرعية فى الأحوال الشخصية للإسرائيليين، مطبعة كوهين وروزنتال بمصر ١٩١٢ المقدمة صفحة س و غ.

صاحبه على استيفاء حظ بكورته، فإذا طالبهم المتوكل (الوكيل) يقول لهم: لا يخلو أن يكون البكر أما أنا وأما أخى، فإن كنت أنا فأدفعوا إلىّ حظ البكورة، وإن كان أخى فقد وكلنى، فإذا فعل ذلك لم يمكنهم مدافعته، فإذا قبض حظ البكورة اقتسمها بينهما هو وأخوه، وللبكورة أيضاً دوافع تدفع حظ البكورة وهى خمسة، أربعة منها تدفع كلية الشىء، والخامسة تدفع البعض ، فلنشرح الدوافع الأربعة التى تدفع الكل، ونقول إن السبب الأول أن تكون ولادة البنين بعد موت أبيهم، فإن كان ذكر فلا فضل للبكر بشىء على أخوته، وشرح ذلك ، أن يكون رجل قد توفى وترك ثلاث زوجات حبالى، فولدت إحداهن فى شهر نيسان ، والأخرى فى شهر آيار، والأخرى فى شهر سيفان، أو كل واحدة قبل الأخرى بيوم، فإن كان كذلك، فلا يفضل البكر على أخوته ، هذه الدفعة الأولى، والثانية: أن يكون الميراث عن الأم، فإن البكر أيضا لا يفضل فيه، فإن ماتت المرأة وخلفت أولادا واحد منهم بكر لا يأخذ سهمين، والثالثة: أن يكون الميراث عن الجد أو سائر مورثى الأب، فإن البكر أيضًا لا يفضل فى ذلك، وشرح ذلك أن يكون توفى الأب فى حياة الجد بعده، ووقعت الوراثة لبنى ابنه وفيهم بكر فيقتسمون بالسوية، وكذلك إن مات العم أو العمة أو الخال أو الخالة أو سائر القرابات التى تجب للأب أن يرثهم، فماتوا بعد موت الأب، فيرثهم أولاده بالسوية، لا يفضل فى كل هذا البكر، والرابعة : أن كان قد فرط وأخذ سهماً واحداً فى شىء من مال أبيه، فإن هو فعل ذلك ولم يطلب ولم يقل إنى إنما ساهلتكم فى هذا فقط، فقد دفع حظ

البكورة عن نفسه فى المال كله، ولا يفضل فى ذلك بشىء، هذا شرح الدوافع الأربعة.

وإذا مات أحد الأخوة بعد موت الأب قبل القسمة، وأخذوا فى قسمة ماله، البكر وكل من بقى فى الأخوة يجب أن يعزلوا حصة أخيهم الميت، ويقسموا الباقى ويعطوا البكر سهمين، ثم يرجعوا ويقسموا حصة أخيهم الميت بينهم بالسوية، ولا يفضل البكر فيها بشىء، وشرح ذلك أن يتوفى ويخلف ثلاثة أولاد، وبعد موته يتوفى أحدهم، فإنهما يقسمان الميراث بينهما ، لا يعطى للبكر الثلثان والآخر الثلث، ولكن يجب أن يقسم المال على أربعة، فيأخذ البكر سهمين؛ وهى النصف، والآخر سهماً؛ وهو الربع، والربع الأخير الذى هو حق الميت، يقسمونه بينهما بالسوية، فيصير للبكر نصف وثمن، وللآخر ثلث وربع سُدس، نقص من القسمة الأولى ربع سُدس لأنه لا يأخذ البكر سهمين إلا من مال أبيه فقط لا من مال أخيه، ولو لم يعش ذلك الولد بعد وفاة أبيه إلا يومًا، ولو لم يكن أيضًا إلا ابن يوم واحد، أو ولد ساعة واحدة بعد وفاة أبيه، وأما إن لم يولد قبل وفاة أبيه وولد بعد موته ومات أيضا بعد موته، فليس يضر ذلك بالبكر ولا ينقصه شىء من جزئه، بل يقسم المال بينهم ويأخذ سهمين، وكذلك أيضًا على أن عاش هذا الأخ الثالث المولود بعد موت أبيه، لا ينقص أخاه البكر من أسهمه شىء، بل يجب أن يأخذ سهمه الذى وجب بعد وفاة أبيه قبل ولادة أخيه الثالث، ويقسم الباقى على ثلاثة أجزاء، وشرح ذلك :أن يكون تقسيم المال ثلاثة أجزاء، يأخذ البكر الثلث حظ البكورة، والثلثان الباقيان من المال

ينقسمان على ثلاثة أجزاء، ويأخذ البكر تسعين أيضًا، وأخوه تسعين، وأخوه الثالث تسعين، صار للبكر الآن نصف وثلث سدس، ولو قسمته على القسمة الأولى المذكورة لم يصر له إلا النصف، فالواجب أن يعطوه حظه وحظ بكورته الثلث، بخلاف حصته ولا ينقصه، وإن حصرت قسمة الأولاد وواحد منهم بكر فحصنا حينئذ، فإن وجدنا إحدى الأربعة أسباب اندفع حظ البكورة، وإلا دفعنا عليه سهمين، وهذان السهمان من العقار ومن المال، العين والديون والأثمار، وجميع ما لم يكن كاملاً أيضًا فى حياة الأب، فكمل بعد موته، ولا يقال : إن هذا حادث (١).

---

(١) السابق : ١٣٣ : ١٣٧.

امتياز الابن البكر فى الميراث للفيومى

مادة ١: للولد من الأب مثل حظ الولدين، فهو مميز بسهم لعلة البكورة .

مادة ٢: لا يمتاز البكر عن أخوته إذا ولد بعد وفاة أبيه.

مادة ٣: إذا مات الأب وكان الولد لم يهل منه غير جبهته، فيعتبر أنه مولود فى حياة أبيه .

مادة ٤: إذا رؤى أنه خنثى، ثم ظهر بعد ذلك أنه ذكر، فلا ميزة له.

مادة ٥ : إذا كان للرجل أربعة أولاد أحدهم بكر، وأحد الثلاثة خنثى، وظهر فيما بعد أنه ذكر، فللبكر ربع التركة، ثم يقسم الباقى على الأربعة بالسوية بينهم .

مادة ٦: إذا كان لرجل ثلاثة أولاد، أحدهم لم يعش إلا يومًا واحدًا، قسم المال على أربع حصص، اثنان للأكبر وهو البكر، وحصة للأخ الآخر، والرابعة تقسم بينهما مناصفة .

مادة ٧: المولود بعد وفاة أبيه لا يضر بامتياز البكر، فللبكر نصيبه الممتاز من التركة، كأن المولود بعد وفاة الأب لم يكن .

مادة ٨ : ما يزال الولد يعتبر بكراً ولو سبقه سقط حياً نزل أم ميتاً.

مادة ٩: إذا مات الولد أثناء الوضع فالذى بعده يعتبر أنه هو البكر.

مادة ١٠ : إذا أُخرج المولود من غير سبيله، فلا هو ولا الذى بعده يعد بكرًا .

مادة ١١ : البكر المولود وأبوه أجنبى عن الملّة لا يعد بكراً، وإذا عاد إلى الملّة وولد فلا بكورة أيضاً .

مادة ١٢ : البكر من الجارية أو الأجنبية لا يمنع البكورة من الإسرائيلية بعدها .

مادة ١٣ : إذا رزق الرجل ولدين من امرأتين فى وقت واحد، ولم يعرف أيهما أسبق، فلا بكورة لهما .

مادة ١٤ : إذا عرف أيهما البكر ثم اختلطا وخفى الأمر، وكل أحدهما الآخر عند البلوغ بطلب نصيب البكورة من باقى الورثة واقتسماه بينهما مناصفة .

مادة ١٥ : إذا تزوج رجل امرأة قبل انقضاء عدتها، وولدت واحتمل المولود أن يكون لكمال شهوره من الزوج الأول، أو لسبعة أشهر من الزوج الثانى، فلا ميراث له ، ومن بعده لا يعد بكراً .

مادة ١٦: يرجع فى ثبوت البكورة إلى شهادة القابلة والأبوين.

مادة ١٧: تعتبر شهادة القابلة بالبكورة، إذا نطقت بها على أثر الوضع، وشهادة الأم فى أسبوع الوضع ، وشهادة الأب لا أجل لها.

مادة ١٨: إذا أقر الأب بالبكورة فلا يجوز له إنكارها.

مادة ١٩: يجوز إثبات إقرار الأب بالبكورة بالبينة.

مادة ٢٠: يشترط فى الإقرار عدم احتمال كون الغرض منه أن البكورة للأم .

مادة ٢١: يجوز إثبات إقرار الأب بالبكورة بإشارته إذا فقد النطق .

مادة ٢١ : إذا كان لرجل ولدان أحدهما بكر، توفيا فى حياته، وقد خلفا أحدهما البكر بنتًا والآخر ولدًا، فللبنت الثلثان وللود الثلث فى تركة جدهما .

مادة ٢٢: امتياز البكر إنما هو على تركة الأب دون تركة الأم.

مادة ٢٣: إذا لم تحلف الأرملة اليمين الواجبة عليها شرعاً لاستيلائها على حقوقها عند زوجها وماتت، عدت هذه الحقوق من تركة الزوج، وسرى عليها معها امتياز البكر .

مادة ٢٤: امتياز البكر لا يتعدى تركة أبيه عند الوفاة، فإذا استحق ميراث آخر بسبب الأب، فلا امتياز فيه للبكر .

مادة ٢٥: ثمرة التركة بعد وفاة الأب لا تعد منها، فهى لا تدخل فى حساب الامتياز .

مادة ٢٦: إذا كانت الثمرة فرعًا متصلاً بالأصل عند الوفاة، كالدابة كانت حاملة ثم وضعت، فالنتاج يلحق بالتركة، ويعد منها فى حساب امتياز التركة .

مادة ٢٧: إذا نضج الثمر أو الزرع بعد الوفاة أو استحال ولو لم يتم نضجه، فلا يلحق بالتركة .

مادة ٢٨: إذا نما الشىء المتروك، كالشجرة كانت صغيرة فكبرت، حسبت كلها من التركة، كذلك إذا صلح الشىء من طبعه، كالأرض كانت مغمورة بالماء ثم انحسرت، عدت بحالتها الحاضرة من التركة .

مادة ٢٩: إذا كان النمو أو الصلاح بنفقات، عارض فيها البكر ولم يكترث بمعارضته باقى الورثة، فله فى الشىء بنموه أو صلاحه .

مادة ٣٠: إذا حول باقى الورثة الشىء من حال إلى حال، كالعنب خمروه ، فلا يعد هذا نموًا أو صلاحًا ، وإذا أنتج العمل خسارة، فلا يلزم البكر منها شيئًا .

مادة ٣١: إذا كانت التركة قرضة فى ذمة الغير، فلا امتياز للبكر ولو كانت القرضة ثابتة بسند أو استحالت إلى عقار حل محلها .

مادة ٣٢: إذا كان القرض برهن على أطيان أو عقار ولم يستحق الوفاء، فالبكر ممتاز كما هو .

مادة ٣٣: إذا كان المقترض الابن البكر، فامتيازه ينقص النصف .

مادة ٣٤ : إذا أغفل البكر امتيازه وقسم بدونه مع باقى الورثة، عد هذا تنازلاً منه عن الامتياز، ولا يجوز له الرجوع إليه بعدًا، ولو كان التقسيم فى بعض المال لا فيه كله.

مادة ٣٥ : إذا كان ترك الامتياز مؤقتاً محفوظاً الحق فيه، فلا تعد القسمة بدونه تنازلاً عنه .

مادة ٣٦: إذا كان على الأب دين ، لزم البكر منه بقدر نصيبه ممتازاً، إلا إذا ترك الامتياز له وعليه.

مادة ٣٧: امتياز البكر منصوص عليه شرعاً، لا يؤثر عليه عرف البلد إذا كان مخالفاً له.

تتمة :

يتضح مما كتبه سعديا الفيومى، أن البكر لا يحصل على نصيبه المميز إلا من ميراث والده، سواء كان عن طريق الوالد مباشرة بعد موته، أو عن طريق وارث مثله ، كالأخ أو غيره، واتضح أيضًا أن الفيومى أعطى للقابلة الحق فى تمييز البكرى فى حالة ولود التوءم، كما منح نفس الحق للأم، ولكنه قيد هذا الحق بلحظة الولادة للقابلة، ولمدة أسبوع للأم، وجعله مفتوحًا للأب، كما أعطى الأب، فى هذا الألتباس، الحق فى تمييز البكر أو الصمت، وكذلك فى ولادة ولدين من زوجتين فى وقت واحد، إما يتم تمييز البكر أو حجب البكورية، وكما يتضح مما أورده أن لا بكورة لابن السرية أو الأجنبية، أو لابن الأجنبى - غير اليهودى - من الإسرائيلية، ولا بكورة للولد إذا ولد بعد وفاة والده، أو فى حالة الشك فى النوع، كان ولدًا أم بنتًا، ولا بكورة أيضًا إذا تنازل البكرى عن حقه المميز، وأجاز سعديا الفيومى اقتسام النصيب المميز بين التوءم .

وما يهمنا فى هذا الشان ، إن البكورى لابد أن يكون من أب وأم يهوديين، وأن يولد فى حياة والده، وأن يحصل على نصيبه المميز من تركة والده فقط ، وإن الأب من حقه - حسب تفسير سعديا الفيومى - أن يحجب البكورية فى حالة وجود توءم والتباس الأمر على القابلة والأم، حتى لو كان هو على علم بمن فيهم صاحب البكورية، إذا منحه حرية الصمت، وهو ما يخالف ما أوصى به موسى من عدم حجب البكورية.

المصادر والمراجع

١ـ العهد الجديد: الأناجيل، طبعة القاهرة سنة ١٩٨٨ .

٢ـ العهد القديم: التوراة ، طبعة القاهرة سنة ١٩٨٨ .

٣ـ العهد القديم: التوراة ، طبعة كمبردج سنة ١٩٣١ .

٤ـ التوراة السامرية: ترجمة الكاهن السامرى أبو الحسن إسحاق الصورى، دار الأنصار، القاهرة سنة ١٩٧٨ .

٥ـ أحمد فخرى: دراسات فى تاريخ الشرق القديم، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٣ .

٦ـ أ.د جرنى : الحيثيون ـ ت : د. محمد عبد القادر، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٧ .

٧ ـ أدلف أرمان: ديانة مصر القديمة، ت :عبد المنعم أبو بكر ومحمد أنور شكرى، مكتبة مدبولى، القاهرة ١٩٩٥ .

٨ ـ أريك هورنونج : ديانة مصر الفرعونية الوحدانية والتعدد، ت : د. محمود ماهر طه ومصطفى أبو الخير، مكتبة مدبولى، القاهرة ١٩٩٥ .

٩ ـ القس إلياس مقار : رجال الكتاب المقدس ، دار الثقافة، القاهرة سنة ١٩٩١ .

١٠ ـ إيفان كونج : السحر والسحرة عند الفراعنة ، ت : فاطمة عبدالله محمود، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٩ .

١١ ـ والسن بدج : بردية آنى : كتاب الموتى الفرعونى ، نقلها للعربية د. فيليب عطية، مكتبة مدبولى، القاهرة ١٩٨٨ .

١٢ ـ تشارلز ماكنتوش : شرح الكتاب مذكرات على سفر التكوين، مكتبة كنيسة الإخوة، شبرا مصر ١٩٨٢ .

١٣ ـ د. توفيق سليمان : دراسات فى حضارات غرب آسيا القديمة، دار دمشق، ببيروت ١٩٨٥ .

١٤- جان مازيل : تاريخ الحضارة الفينيقية الكنعانية، ت : ربا الخشن ،دار الحوار، سورية ١٩٩٨ .

١٥ ـ جـ . كونتنو: الحضارة الفينيقية، ت : محمد عبد الهادى شعيرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ط ٢، القاهرة ١٩٩٧ .

١٦ ـ جرهاردوس فوس : علم اللاهوت الكتابى، ت : د. عزت زكى، دار الثقافة، القاهرة ١٩٧٧ .

١٧- جورج سارتون: تاريخ العلم ، دار المعارف المصرية ١٩٩١ .

١٨ ـ جونيفييف هوسون و دومينيك فالبيل: الدولة والمؤسسات فى مصر، ت : فؤاد الدهان ، دار الفكر للدراسات بالقاهرة ١٩٩٥ .

١٩ ـ جيمس فريزر: الفولكلور فى العهد القديم، ت: د. نبيلة إبراهيم ، دار المعارف بالقاهرة ١٩٨٢ .

٢٠ ـ حاى بن شمعون : كتاب الأحكام الشرعية فى الأحوال الشخصية للإسرائيليين، مطبعة كوهين وروزنتال بمصر ١٩١٢ .

٢١ ـ خزعل الماجدى : الدين السومرى، دار الشروق، عمان، الأردن ١٩٩٨ .

٢٢ ـ دميترى ميكس وكريستين فافار ميكس : الحياة اليومية للآلهة الفرعونية، ت : فاطمة عبدالله محمود، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٠ .

٢٣ ـ رضا جواد الهاشمى : القانون والأحوال الشخصية حضارة العراق، بغداد ١٩٨٥

٢٤ ـ زكى شنودة : المجتمع اليهودى، مكتبة الخانجى بالقاهرة، د. ت

٢٥ ـ سبتينو موسكاتى : الحضارات الإسلامية، ت : د. السيد يعقوب، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٧ .

٢٦ ـ سعديا سعيد الفيومى: المواريث، ت : حاى بن شمعون، مطبعة كوهين وروزنتال بمصر ١٩١٢ .

٢٧ ـ سوزان راتييه : حتشبسوت الملكة الفرعون، ت : فاطمة عبدالله محمود، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٨ .

٢٨ ـ سوزان السعيد يوسف : المرأة حقوقها وواجباتها فى الشريعة اليهودية، رسالة ماجستير غير منشورة آداب القاهرة ١٩٨٣

٢٩ ـ سوزان السعيد يوسف : الطقوس الدينية والاجتماعية فى الفولكلور اليهودى فى العهد القديم، رسالة دكتوراة غير منشورة، آداب القاهرة ١٩٨٩ .

٣٠ ـ سليم حسن : الأدب المصرى القديم، كتاب أخبار اليوم بالقاهرة ١٩٩٠.

٣١ ـ سليم حسن : مصر القديمة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٢ .

٣٢ ـ د. سيد سليمان عليان : نساء العهد القديم ، مكتبة مدبولى بالقاهرة ١٩٩٥ .

٣٣ ـ سيرج سونيرون :الكهان فى مصر القديمة، ت : عيسى طنوس، الأهالى للطبع والنشر بدمشق ١٩٩٤ .

٣٤ ـ السنن القويم فى تفسيرأسفار العهد القديم، مجمع الكنائس فى الشرق الأدنى، بيروت ١٩٧٣ .

٣٥ ـ طه باقر : مقدمة فى تاريخ الحضارات القديمة، بغداد١٩٥٥

٣٦ ـ عبد الحكيم الذنون : تاريخ القانون فى العراق، دار علاء الدين، دمشق ١٩٩٣ .

٣٧ ـ د.عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٢ .

٣٨ ـ د.عبد الحميد زايد : الشرق الخالد، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٦٦ .

٣٩ ـ د. عبد الرازق أحمد قنديل : الأثر الإسلامى فى الفكر الدينى اليهودى، دار التراث بالقاهرة ١٩٨٤ .

٤٠ ـ د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم، الجزء الأول مصر والعراق، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٩٧ .

٤١ـ د. عبد العزيز صالح : الأسرة فى المجتمع المصرى القديم، القاهرة ١٩٦١ .

٤٢ ـ عصام الدين حفنى ناصف: اليهودية فى العقيدة والتاريخ ، دار العلم الجديد، القاهرة ١٩٧٧ .

٤٣ ـ د. على سامى النشار و د. عباس أحمد الشريينى: الفكر اليهودى وتأثره بالفلسفة الإسلامية، منشأة المعارف بالأسكندرية ١٩٧٢ .

٤٤ ـ د. فاضل عبد الواحد على : من سومر إلى التوراة ـ سيناء للنشر ١٩٩٦ .

٤٥ـ د. فاضل عبد الواحد: السومريون والأكديون ـ العراق فى التاريخ ـ بغداد ١٩٨٣ .

٤٦ـ ف . ب . ماير : حياة يعقوب، ت : القمص مرقس داوود، مكتبة المحبة، القاهرة ١٩٨٩ .

٤٧ـ فراس سواح : مغامراة العقل الأولى، دار علاء الدين، دمشق ١٩٩٣ .

٤٨ـ فرانسواز دونان وكرستيان زفى كوش : الآلهة والناس فى مصر، ت : فريد بورى ، دار الفكر للدراسات والنشر .

٤٩ـ فلندرز بترى : الحياة الاجتماعية فى مصر القديمة، ت : حسن محمد جوهر وعبد المنعم عبد الحليم، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٥ .

٥٠ ـ كارل راسموسن : أطلس الكتاب المقدس، ت : إدوارد وديع عبد المسيح، دار الثقافة بالقاهرة ٢٠٠١ .

٥١ ـ كرستيان ديروش لويلكور : المرأة الفرعونية، ت :فاطمة عبدالله محمود، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٥ .

٥٢ ـ كلير لالويت : نصوص مقدسة ونصوص دنيوية من مصر القديمة، ت : ماهر جويجاتى، دار الفكر للدراسات والنشر بالقاهرة ١٩٩٦ .

٥٣– كنت أ . كتشن : رمسيس الثانى فرعون المجد والانتصار، ت : د . أحمد زهير أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٧ .

٥٤ ـ ل. ديلابورت : بلاد ما بين النهرين الحضارتان البابلية والآشورية، ترجمة محرم كمال، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٧ .

٥٥ ـ الأب لويس مونلوبو : أنبياء العهد القديم، دار المشرق، بيروت ١٩٩١ .

٥٦ ـ د.محمد أبو المحاسن عصفور : المدن الفينيقية، دار النهضة العربية بيروت ١٩٨١ .

٥٧ ـ د. محمد أبو المحاسن عصفور : معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم ، مطبعة المصرى القاهرة ١٩٦٨ .

٥٨ ـ محمد بيومى مهران : بنو إسرائيل الجزء الرابع الحضارة، دار المعرفة الجامعية، الأسكندرية ١٩٩٩ .

٥٩ ـ محمد بيومى مهران : تاريخ العراق القديم، دار المعرفة الجامعية، بالأسكندرية ١٩٩٠ .

٦٠ ـ د.محمد بيومى مهران:الحضارة المصرية القديمة، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية ١٩٨٩ .

٦١ ـ د. محمد بيومى مهران: المدن الكبرى فى مصر والشرق الأدنى القديم، دار المعرفة الجامعية، بالأسكندرية ١٩٩٩ .

٦٢ ـ محمد خليفة حسن : ظاهرة النبوة الإسرائيلية طبيعتها وتاريخها، دار الزهراء ١٩٩١ .

٦٣ ـ محمد خليفة حسن : تاريخ الديانة اليهودية، القاهرة ١٩٩٦ .

٦٤ـ مر جريت مرى : مصر ومجدها الغابر، ت : محرم كمال، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٨

٦٥ ـ ميرسيا إلياد : تاريخ الأفكار والمعتقدات الدينية، ت : عبد الهادى عباس، دار دمشق، سورية ١٩٨٧ .

٦٦ ـ نجيب ميخائيل : مصر والشرق الأدنى القديم، النهضة المصرية ١٩٦٦ .

٦٧ ـ نيقولا جريمال : تاريخ مصر القديمة، ت : ماهر جويجاتى، دار الفكر للدراسات، القاهرة ١٩٩٣ .

٦٨ ـ هرمان رانكه وأدولف أرمان: مصر والحياة المصرية فى العصور القديمة، ت : عبد المنعم أبو بكر و محرم كمال، النهضة المصرية ١٩٥٣ .

٦٩ ـ وليم ف. أولبرايت : آثار فلسطين، ت : د . زكى إسكندر و د. محمد عبد القادر محمود، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة ١٩٧١ .

الموسوعات والقواميس

١ـ دائرة المعرف الكتابية : دار الثقافة بالقاهرة ١٩٩٨ .

٢ـ قاموس عبرى عربى مختصر: إبراهيم بن شوشان ، كريات سافر أورشليم ١٩٧٩ .

٣ـ قاموس عبرى عربى : ديفيد ساجيف ، نيويورك ١٩٨٥ .

٤- قاموس عبرى عربى: ديفيد ألون ، ومسح شنعار، ى. ت مغمس الجامعة العبرية أورشليم ط٢ سنة ١٩٧٨ .

٥ ـ قاموس الكتاب المقدس: دار الثقافة بالقاهرة ١٩٩٧.

٦ـ معجم الحضارة المصرية القديمة: جورج بوزنر وآخرون، ت : أمين سلامة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٦

٧ـ معجم العلوم الاجتماعية: الشعبة القومية للتربية والعلوم والثقافة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٥ .

٨ ـ المعجم العملى : قاموس عبرى عربى وعربى عبرى : شلومو ألون ، دار ش . زاك للنشر بالقدس ١٩٩٥ .

٩ ـ معجم اللاهوت الكتابى: بولس باسيم ، أشرف على الترجمة: نيافة المطران أنطونيوس نجيب، دار الشرق، بيروت ١٩٩١ .

١٠ ـ موسوعة المصطلحات الدينية اليهودية : د. رشاد الشامى ،المكتب المصرى لتوزيع المطبوعات ٢٠٠٢ .

١١ـ موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: د. عبد الوهاب المسيرى، دار الشروق القاهرة ١٩٩٩ (*).

١٢ ـ لسان العرب : ابن منظور الإفريقى ، دار المعارف المصرية .

(13) The Encyclopedia Americana international edition

(14). Encyclopedia of the Americana religions

(15). Encyclopedia of religion and ethics

(16). Encyclopedia britanica

(17). Encyclopedia of catholic

(18). The jewish encyclopedia,copyright 1971

(19). W.B udge , An Egyptian Hieroglyhic dictionary . W

(*) أثبتت موسوعة الدكتور المسيرى، على سبيل الأمانة العلمية، لكن ننبه إلى أنها غير علمية ولا يعتد بها علميا لأن موادها مجهولة المصدر، حيث لم يقم معدها الدكتور المسيرى بإثبات مصادر المواد المحررة، وللأسف قد اعتمدت عليها دون الانتباه إلى إغفاله لمصادرها.

الفهرس

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ١٦٩٨ / ٢٠٠٥

I.S.B.N. 977 - 01 - 9447 - 6



يحرص اليهود دائماً، فى مناسبة وبغير مناسبة، على التأكيد بأنهم أصحاب أول فكر دينى منظم عرفته البشرية، كما يؤكدون على أصالة هذا الفكر وعبقريته منذ ظهوره فى سنوات ما قبل الميلاد، على أيدى أول مجموعة من العبريين، ووصل بهم الأمر إلى أن أشاع البعض منهم، خاصة أصحاب الفكر الصهيونى، أن بنى إسرائيل، نسبة إلى أولاد يعقوب النبى، هم الذين أدخلوا هذا الفكر المتحضر إلى الشعوب المجاورة لهم فى منطقة الشرق الأدنى القديم، وأنهم أصحاب الفضل فيما وصلت إليه الحضارات المصرية والعراقية والشامية القديمة، ويزعم بعضهم أن بنى إسرائيل شركاء فى هذه الحضارات بما قدموه من فكر أصيل، كما يشيعون أيضاً أن الديانات التى ظهرت بعد اليهودية - المسيحية والإسلام - قد اعتمدت فى مجملها على الشريعة اليهودية، وأن أتباعها قاموا بإعادة صياغة للنصوص التوراتية. وقد مال إلى هذا الادعاء أغلب الباحثين الغربيين والعرب، الذين تناولوا حضارات الشرق الأدنى القديم بالدراسة.

هذا الكتاب يقدم قراءة جديدة، يتضح فيها قيام حضارات الشرق الأدنى على مفهوم الابن البكر، قبل وروده فى النصوص التوراتية بمئات السنين، فهو الإله والنبى والكاهن والحاكم ورب الأسرة، يؤكد الكتاب أن البكورية هى النسق أو النظام الذى شيدت عليه هذه الحضارات، ومن بعدها النصوص التوراتية، وقد امتد هذا النظام - تمييز الابن البكر - حتى يومنا هذا فى الأسر العربية وفى نظم الحكم الملكية.

تصميم الغلاف : صبرى عبد الواحد

٥٥٠ قرشاً

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب